

# نشأة اللغات

وحاجة الأئمة للمجمع اللغوى

---

بإيفاء

محمود احمد عمر النشوى

أحد العلماء . ومتخصص فى الآداب

---

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ حقوق الطبع والنقل والترجمة محفوظة للمؤلف ﴾

وكل نسخة غير ممضاة تعد مسروقة

# نشأة اللغات

وحاجة الأئمة للجميع اللغوى



محمود احمد عمر النشوى

أحد العلماء . ومتخصص فى الآداب

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ حقوق الطبع والنقل والترجمة محفوظة للمؤلف ﴾

وكل نسخة غير ممضاة تعد مسروقة



حضرة صاحب الجلالة مولانا المعظم

فؤاد الاول

ملك مصر



# الأهداء

إلى صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول . أطال الله أيامه  
مولاي:

أشرق شمس أياديكم . وامتد ظلکم على اللغة العربية لغة الدين  
والوطن . فوهبتها من نعمك ماجعلها درة اللغات الحية . فاستعادت  
مجدها السالف . واستردت حلتها القشبية . ونبع فيها من الشعراء من  
تضائل أمام شاعريته البحتري والمتنبي . ومن الكتاب من توارى  
أمام عبقريته ماديجه يراع عبد الحميد وابن المقفع . فيض من سحابتكم  
تجلى على اللغة فأنبئت تلك الازاهير الارجه . ففي عهدكم الزاهر نبئت  
دوحة كلية اللغة العربية الازهرية . وبسقت أغصان دار العلوم .  
ونشأت كلية الآداب بالجامعة المصرية . مماهدت رفع من شأن اللغة .  
ونعم خالدة وصحائف مشرقة في جبين الدهر والايام . فلتنهأ اللغة  
العربية بما أسديت . واتفخر بما أوليت

ولقد كنت يامولاي ممن غمرتهم نعمتك . واستظلوا في ظلك  
الوارف بارتشاف كئوس العلم مترعة في قسم التخصص بكاية اللغة  
العربية فرأيت اول واجب علي أن أرفع الي سدنكم العلية تلك الثمرة  
من غرسكم . قياماً بشيء مما يجب نحو مولى النعم . وواهب الحياة

لغة العرب م العبد الخاضع

محمود النشوي

## الافتتاحية

عجب ا ايبدأ هو ميروس ألياذته بذكر آلهة الشعر يزعم انه  
يستمد منها الوحي والاهام : بل ينسب اليها الرواية والانشاد فيقول  
ربة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدنا واروى احتداماويلا  
وغريب ان يفتتح كفار مكة والاعراب أناشيدهم بذكر سايعى والرباب  
بل يذكر آلهتهم الحجرية بينما نفض الطرف لحظة عن ذكر الله : او نخلى  
قلوبنا طرفة عين عن التعبد باسم الله . ففي كل سائحة وبارحة وفي كل  
غدوة ووروحة وفي ابتداء تلك الرسالة تنفجر شفاهنا عن و

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفي مفتتح ذلك الكتيب نحیی قلوبنا بحمد الله على تلك النعمة  
الكبرى نعمة الاسلام والانضواء تحت لواء رسوله الاكبر محمد ﷺ  
ونبتهل اليه تعالى أن يسدد خطانا : وأن ينير لنا طريق الصواب في كل  
رأى نبديه وفي كل مسيل نسلكه في تلك الشعاب الفسيحة الجنبات :

والهضاب المرتفعات . فلولاً توكلنا عليه ما اجتزنا صعبها . ولا سلطنا  
شعبها . فمن الله نستمد القوة وله المنه وعليه يقصر الحمد اللائق بذاته  
العليه

﴿البوائث على اختيار هذا الموضوع وحاجة اللغة للمجمع اللغوى﴾  
رأيت ذلك الخطر الدائم . وهذا الانقلاب الخطير . وذلك الجيش  
الجرار من المسميات الحديثه يغزو اللغة العربية في كل النواحي وينتأبها من  
جميع الجهات غير راحم ولا وان فأنارت جزعى وحسرتى تلك الالاف  
العديدة من اسماء المخترعات الاجنبية تحتل مكانها بين مفردات اللغة  
وتكتسحها امامها رويدارويدا لأنها تتمتع بقوة الشباب ونضارة الحداثة  
نشأ ذلك الخطر وبدأ هذا الانقلاب من المخترعات العلمية الحديثه  
التي لم يكن يعرفها العرب بل لم تكن تعرفها أمة من أمم المسكونة بل  
هى طفرة علمية . وقفزة من المعارف ما كان يحلم بها الآباء الاقدمون  
وكانوا يمدون من يفكر فى تلك الناحية مجنوناً تخبطته الشياطين وقابلوا  
المخترعين والمكتشفين بالقتل والاحراق وصبوا عليهم من ألوان السخرية  
وصنوف العذاب ما تتبخر أمامه الصخور الجلامد

(فودنيل) مخترع (الفونوغراف) حينما قدم اختراعه هذا الى  
المجتمع العلمى الفرنسى قال له رئيس المجتمع . . يجب أن تستحي من



نفسك يا حضرة المهندس الذى جاء يوهمنا أن الذى يتكلم هو تلك القطعة من الحديد مع أنك أنت المتكلم من نفسك . . ( وزبلن ) مخترع البالونات . . تأمل خطاب رئيس المهندسين له إذ يقول ( هو رجل ناقص العقل لكنه غير خطر . ولا يمكن طرده بالنسبة لعراقه أصله . ونبل عائلته . وهو يعتقد أنه سخر الهواء باختراع بالون يحلق في الجو ويمكن أن يديره حيث شاء . وقد حضر الى هنا يطالب منى بصفتي رئيسا للمؤتمر أن أساعده على تحقيق اختراعه هذا . فأنتم تشتركون معي إذن في الرأي بجنون هذا الرجل )

( وفيليب لوبون ) مخترع الاثارة بالغاز كان الناس يقولون عنه .  
ما أسخف فكرة هذا المخترع . وهل يمكن أن يقاد مصباح بدون فتيله ؟ از هذا هو الجنون بعينه ( وغاليانو ) الايطالى الفلكي حينما أعلن أن الشمس هي مركز الكواكب السيارة سخر منه قومه وأحرقوه حياً . .

تلك حالة الاثمم جمعاء حتى قبيل بزوغ القرن الثامن عشر . جهل مطبق بما جد وحدث من تلك الاختراعات . وما أن أشرق ذلك القرن اليمون حتى رأيناه يظهر على الناس بما بهرهم وأراهم العجب العجيب من حديد ينطق ، وهواء يخضع لارادة الانسان يتخذه مطية لينتقل بسرعة .

وأشعة تخرق الحجب وقدرة على مخاطبة الغير مهما شط به المزار وباعدت  
 بينه وبين مخاطبة الاسفار بل استطاع الانسان أن يخاطب أخاه  
 على بعد ما بينهما ويرى صورته وأن ما بينهما من بعد الشقة  
 لآلاف وآلاف من الفراسخ والاميسال . ما كان أبأونا  
 يعرفون المسرة أو الحاكى أو الصدى فكان طبيعياً أن تخلو  
 صحيفة اللغة من تلك الاسماء بل أن تخلو لغات العالم منها . فما سبق  
 الاسم المسمى ولا ذاك من حقه . وهانحن نبصر ذلك من كل ناحيه .  
 ونلقاه في كل سبيل . ففي المنازل وفي الطرقات وفي المشارب والمجالس  
 العامة . وفي المدارس ومعاهد التعليم تري تلك المستحدثات وتتحدث  
 عنها باسمائها الاجنبية . وأعلامها الاعجمية وهى من الكثرة والقوة  
 بحيث تجعلنا نرهب صولة ذلك الهجوم . ونشفق على لغتنا العزيزة  
 أن تضيع في ثناياها : ففي الطريق نري السيارة والترام . ونستمع الراديو  
 ينقل الاغاني والمحاضرات . ولو شئنا أن نتعرف أجزاء السيارة وحدها  
 لجانبنا عدداً هائلاً من الاسماء . فالديكسيون . والبوجية . والموتور .  
 والفيتس وعشرات بل مئات من الالفاظ احتوتها تلك الآلة السيارة  
 كذلك الترام بما احتوته أجزاءه وآلاته من أسماء أجنبية . والراديو  
 وما انطوى عليه أديمه من عدد رآلات أعجمية الاسماء . وتلك الجمهرة

الهائلة من المخترعات الحديثة التي بلغ عديدها أربعة آلاف أو تنيف  
عن هذا العدد الضخم والتي نبت منها زهاء ألف من عقل أديسون شيخ  
المخترعين : ليس لكل واحد منها اسم يخصه ، وعلامة يمتاز بها عما  
عداه ، ولو افترضنا ان كل اختراع تتركب أجزاؤه من عشرين قطعة  
لكل قطعة اسمها الاجنبي ولهجتها الاعجمية لكننا أمام ثمانين ألف  
كلمة تريد أن نحتل لغتنا وأن تأخذ مكاتها بين صفوفها ومفرداتها .  
تلك فرقة واحدة من جيش الالفاظ المهاجم للغتنا العزيزة . وفرقة  
أخرى هي علوم الكيمياء وما جد فيها من عناصر وما استكشف فيها  
من مواد . وحسبي أن أتبين أن العناصر كان الاقدمون يحسبونها أربعة  
الماء والتراب والهواء والنار فاذا العلم الحديث يظهر أنها تفوق الثمانين  
عدداً . وأن هنالك عناصر لما تتمكشف عنها الايام . وأن عناصر  
الاقدمين مركبة وليست بالبسيطة كما كانوا يزعمون لكل عنصر اسمه  
وخواصه وتفاعله مع غيره . وتلك العناصر وهاته الخواص أعلامها  
أجنبية . .

حسبي أن أتبين ذلك فتروعي فرقة أخرى هائلة من جيش  
الالفاظ تهاجم لغتي العزيزة : فقد جابهتنا الكيمياء بأسماء الاكسوجين  
والايدروجين والهليوم والصوديوم والبوتاسيوم والمغنسيوم والكلسيوم

والباريوم والارانيوم الى آلاف من عناصر ذلك العلم ومصطلحاته  
التي غيرت وجه العالم وبلغت به درجات من الرقي فوق ما كان يتصوره  
خيال آبائنا الاقدمين

اما النباتات وما عرف منها مما توافرت عليه آلاف العلماء الذين  
افنوا حياتهم في سبيل الكشف عنه - وتعرف ما ينتابه من امراض  
وعلل . وما يحيط به من أجواء تؤثر في ثمره . : أما الزهور والرياحين  
وما ينبت منها في البلاد الاجنبية فعدد ذلك يفوق الحصر ويعدو  
الحساب . : اكتشف العلماء نباتات ما كان يعرفها اسلافهم وعرفوا لها  
خواص كان بنو الانسان يجهلونها الي عهد قريب فرأينا نباتات تفرس  
الحيوان وتلتهمه ورأينا نبات الديونيا تتخذ ورقا كمصيدة الفار حتى اذا مر  
بجوارها من اتعسه حظه من الحيوان انقضت عليه وامتصته فكان من الهالكين  
وأعجب من ذلك نباتات تتحرك تلك هي المعروفة بين جماعة النباتيين  
باسم فاليسنير سبيريالليس تلك النباتات التي تنبت في مجارى الانهار باوروبا  
وتري الذكر ينفصل عن مكانه باحثا عن الانثى حتى اذا ادركها واتم  
مأربه عاد الي قاع النهر تكشف كل ذلك وآلاف مثله في عالم النبات  
ولكن ما وصلت اليه جهود العلماء في عالم الحيوان اكثر عددا . وأجل  
أثرا فالحشرات اكتشف العلماء منها آلاف عديدة كانت خزانة معلومات

الناس منها خاوية والحيوانات الهلامية وما ضمتها أحشاء المحيطات من صنوف  
الحيوانات صغيرة وكبيرة من حيتان الرور و كال . والكاملات  
ومن أسماك تشع ضوءا ينير سبيلها ويبيهر عين مهاجمها وأخريات تعمقن  
في قرار المحيطات حيث الظلام الدامس فافتقدن أبصارهن لانهن لم يبق  
بهن حاجة للبصر وذاك كله بأسماء أعجمية نحن جد مضطرين الى  
تعرفها . وخطب ودها حتى مجاري الامم في العلوم والمعارف . وذلك فتح  
جديد بل فتوحات هائلة في سبيل المعارف والعلوم علوم بلغ عديدها في  
عصرنا الحاضر الافا كثيرة . ولكل علم آلاف من مصطلحاته  
الخاصة به فلو اتخذنا منطق الرياضيين وضربنا عدد العلوم  
في عدد مصطلحاتها لكننا أمام الملايين من المصطلحات وأسمائها . وكلها  
بعيد عن لغتنا . غريب عن منطقنا العربي الفصيح . فلو اختلط ذلك  
الجيش الجرار بلغة الدين والقرآن لضاعت مفرداتها في ثغايه . ومما يحسم  
تلك الخطورة ويجعلها ضغثا على إقباله أن تلك المخترعات حديثة العهد تتمتع  
بقوة الشباب . ونضارة الفتوة . ذلك الى انها في الأعم الاغلب أسماء  
أدوات منزليه يضطر الانسان أن يذكرها في حديثه مرات كثيرة في  
اليوم الواحد . ونحن نعلم أن بعض الاسماء قد يذكرها المرء في حديثه  
كل يوم كاسماء الطعام والشراب وبعضها قد لا يذكرها الا في العام مرة

كلمات الكتاب والدرس في فم الزارع بينما الزارع تدور على  
لسانه أدواته الزراعيه مررات كثيره . فاذاتأ . لمنأمر تلك لمستحدثات وعلمنا  
كثرتها في العدد . وكثرتها في الدوران على اللسان تجسمت لناظورتها  
المحدقة بلغتنا العزيزه . يواجهنا ذلك الخطر طفره . ويندفع في سبيلنا  
جملة دون شفقة ولا رحمة لاننا اليوم نريد أن نأخذ بأسباب العلوم  
والمعارف . نريد أن نرقى درجات الحضارة والمدنية وسيجرفنا ذلك  
التيار سواء كرهنا أو أحببنا . ولو كان منا ~~مكتشفون~~ أو مخترعون  
سايروا النهضة العلمية ابان بزوع فجرها لوضعوا لنا أسماء تلك المصطلحات  
أولا بأول ولا استطاعوا أن يسموا اكلا باسمه العربي في حينه . وأن يخففوا  
عن كاهلنا ثقلا ندوء اليوم بحمله . ولكن شاء القدر القاسي أن يتقدموا  
في المعارف والعلوم . وأن نتأخر عنهم بمراحل (ذاك كله) ما أثار في نفسى  
لواعج الحزن والاسى فأثمرت لواعج الاسى في نفسى ذلك الكتيب الذى  
أتقدم به الى الامة العربية أهيب بها أن تكرر جهودها نحو لغتها بوضع  
الفاظ عربية للمصطلحات الحديثه . وهو ما سيقوم به المجمع اللغوى  
المصرى . ولكننا على ثقة من أنه مهما قوى ساعده فلن يستطيع القيام وحده  
بتلك الاثقال الهائلة ما لم أمدد الامة كتابها وشعراؤها وعلمائها وأطبائها .  
وأساطين الصيدله والكيمياء والطبيعه بروح تفيض حبا للغة وفناء في سبيلها

## ﴿ اللغة والاجتماع ﴾

حكمة رائعة اقترعها ثغر أحد الفلاسفة الحديثين حين نطق الجملة الخالدة . ان شكك- بير خير من الهند لانجلترا ولقد صدق ذلك الحكيم فيما أبدعه من فكره . فان شكسبير هو رمز الوحدة في اللغة الانجليزية . واللغة من أهم الروابط الانسانية توحد التفكير . وتجمع العقليات . ومتى انحلت عقليات الامة وأساليب تفكيرها كونت شعباً قوى الدعائم . رصين البنيان . وذلك وحده هو أساس النهوض . ودعامة القوة . ولو ضعفت لغة أمة من الامم : وطغت عليها سيول اللهجات المختلفة فلا تلبث أن تتبلبل السنتها . وان تفرق بها السبل فتصبح في عداد الموتى . ولو تصفحنا تاريخ الامم والشعوب لرأينا كيف ان انحلال الامة يبدو بانحلال لغتها . قضية جرت في كل شعب وفي كل أمة . وهذا راضع علم الاجتماع ابن خلدون يحدثنا في خلال مقدمته بذلك الارتباط المتين بين قوة الامة وقوة لغتها

وقد اقتنعت الامم الحديثة ذوات اللغات الحية بما للغات من أثر خطير في تكوينها الاجتماعي فألفت الجمعيات ترفع من شأن لغاتها في الداخل والخارج . وقد أصاب مصر رذاذ ذلك الوابل فهام الفرنسيون

وجميعيات الاليانس المكونة منهم تفتتح المدارس في القاهرة بنفقات لا تكفى نفقات الاضاءه . وهام الطليان يسرون على غرار الفرنسيين يفتتحون مدارسهم في بلادنا لنشر لغاتهم ويعدون النابغين بأن يسيرسلونهم الى بلادهم لأتمام التعليم هنا لك . وها هو ملك الطليان يعطى وساما عاليا لمن ترجم كوميديا دانتى اليجيرى . وما قصر الالمان فى ذلك المضمار بل لهم مدارس لا تزيد نفقاتها فى العام على جنيه واحد

وذلك سبيل حملهم على السير فيه ما علموه مما للغة من خطر عظيم فى تكوين الاجتماع وتقوية دعائمه . اليس فيما نشاهده أمام أعيننا . وما سجله التاريخ برهان صدق على تلك الصلة المتينة بين اللغة والاجتماع ذلك ما لا يمتري فيه عاقل

### ﴿ اللغة والتفكير ﴾

نظرة منا فاحصة للحيوان والانسان . لذلك الكون وما فيه من القبائل المتوحشة الضاربة فى أدغال أفريقيا وأحراجها . وصحارى واستراليا وجبائها ثم فى بطون التاريخ وما احتواه أديمه من ذكريات الامم . الخالية ننظر من خلالها ذلك الارتباط الوثيق بين رقى اللغة ورقى التفكير . والمحطاط الالة والمحطاط التفكير . حيث نرى اللغة منحطه ساذجه أوليه نرى التفكير منحطاً ساذجاً أولياً . فالحيوان الاعجم التوى



لسانه وعجز عن النطق فمعجز عن التفكير . وتلك القبائل المستوحشة التي استوحشت معها لغاتها . وقالت الفاظها حتي لم تعد تتجاوز أصابع اليدين والرجلين عدا ضعف تفكيرها وقل انتاجها العقلي ، اما الامم التي قويت لغاتها فها نحن نراها استولت على الدهر فتي ، نحس من آثارها العلمية ما يبهز الابصار ، ليس في ذلك كله ما ينطق بتلك العلاقة الساحرة بين التفكير والمنطق اللغوي ، ذلك ما لا نجد سبيلا لنكرانه والممارسة فيه ، ولو أننا عدنا اللغة لعدمنا كل ما نفخر به من علوم ومعارف وذلك التراث العلمي الذي خلده الایام ما كان ليصل اليها الا عن طريق اللغة وتقييدها في بطون الكتب وسجلات الاوراق . واحتاج كل انسان ان يفكر تفكيرا أوليا في كل شيء ، لانه ضل عنه كل شيء من مجهود الغير وثمرات تفكيره ولنفرض أنه فكر في شيء فأحس به ثم أدرك وجوه اتفاقه واختلافه وانتهى من عملية الملاحظة والمقارنه والحكم الا ترى معنى أنه لا بد له من اسم يطلقه عليه حتى يستطيع استحضاره اذا دعت اليه حاجة . وحتى لا يضطر الى اعادة عملية التفكير وتعرف مميزاته وصفاته في كل مرة . فما كانت اللغة وسيلة للتفاهم فحسب . وانما هي رموز المعقولات والصور الذهنية وقوالبها التي صبت فيها : ولولا ذلك القالب الذي يحفظ السائل لعبث به يد الضياع فزال قوامه: وفني

وجوده : وقد ضرب لنا ( مكس مولر ) مثلاً رائعاً وضع به تلك العلاقة بين اللغة والتفكير حيث يقول : مثل اللغة مع التفكير كوجهي قطعة النقد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر : وما كان الإنسان ليقدر اللغة حباً في سواد عيونها : وتمشقا لنغماتها وأجراسها وإنما ذلك لأنها سجل تفكيره تحفظه له وتنقله عنه إلى أخوانه في الإنسانية . ومن يتلوها من الأحياء

اللغات وضعه أم اصطلاحيه ؟

أمام ذلك الحدث الخطير . وإزاء ذلك السيل الجارف من الألفاظ الأجنبية الذي يريد أن يكتسح لغتنا . والذي كلما أوغلنا في المدينة . وأخذنا بأسباب العلم الحديث نحس بثقله على كاهلنا حتى يكاد يتنزل بها إلى الهاوية : نجاه ذلك كله : نرى أن الاحتفاظ بلغتنا كاملة غير مقوصة بريئة من جيوش الألفاظ واللهجات التي لا تتوافق مع مزاجها وتكوينها صبيبه الوحيد وضع الفاعل استقيت من معين لغتنا العربية الذي لا يكاد ينضب ؛ ونبتت من حدائق مشتقاتها التي تفوق عدد السنين والحساب وبرزت من خدر المجازات والاستعارات والكنايات التي انتشرت بها لغتنا . فكانت دمية أخذت بأطراف الحسن من كل نواحيه ، ،

فلو أننا أخذنا برأى القالين بأن اللغات توقيفيه لا يجوز لاي

انسان أن يضع شيئاً من عنده لافسحنا السبيل لذلك السيل الجارف من الالفاظ الاجنبية ولضاعت لغتنا في ثناياه ، تجاه ذلك كله نحس بقلوبنا تتجههم في وجوه القائلين بأن اللغات توقيفيه ، وتشرق باسمه في وجوه المائلين بأنها اصطلاحية لان حياة اللغة ليس لها طريق غير السير على غرارهم ، والاخذ برأيهم ، وكيلا يكون لهم علينا من حجة نتعرف من هم ، ثم تناقشهم الحساب حتى اذا تبخرت أدلتهم أدلينا بما عندنا من براهين قاطعة على أن اللغات اصطلاحية ثم نهيب بالامة العربية ، وبكل ذى تفكير ورأى فيها وخصوصا أولئك الذين تتصل مهنتهم بتلك المصطلحات من علماء النبات والحيوان ، وعلماء الفسيولوجيا والجيولوجيا والتكنولوجيا والبكتريا أن يشعروا عن مساعد الجدد ، وأن يضعوا أو يقدموا للمجمع اللغوى أسماء عربية لتلك المصطلحات . حتى تتسع مادة اللغة من ناحية ، وحتى لا تعبت بها يد الضياع من ناحية أخرى ولا يفوتنا قبل أن نخوض غمرات الحجاج أن نسد آيات الشكر خالصة للدكتورين العظيمين ، الدكتور معلوف ، والدكتور عيسى ، فقد رأينا لكل منهما مجهوداً كبيراً سوف يخلد ذكرهما في جبين التاريخ مابقيت اللغة العربية الخالدة

.. وبعد هذا الاستطراد الى واجب الشكر نعود الى الاصطلاح

والتوقيف . وكلاهما أثار نزاعاً بين علماء اللغة منذ فجر التاريخ . ولا زالت المسألة مثار النزاع والجدل ، وحسبك أن تعرف أن (أفلاطون) أبدى رأيه في المسألة اتعلم أن تلك الناحية شغلت ذهن الانسانية من آحادسحقيقة ، بيد أن افلاطون خاض التوفيق في رأيه ، فقد أفتي بأن اللغات توقيفيه نزلت على الانسان جملة علمها دفعة ثم أدلي بها الى غيره دفعه ، ثم تناقشها الاجيال من بعده ، وأتبعه على رأيه من أئمة المسلمين أبو الحسن الاشعري على بعض الروايات عنه ، وأبو الحسن بن فارس والكمي والجبائي من المعتزلة ، غير ان هؤلاء الأئمة ما كانوا يتعقبون خطي أفلاطون ، وانما اتبعوا ظاهر الآية الشريفة ( وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ) وأحاديث ينسبونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأزاء هؤلاء وفي الناحية الاخرى وقف جماعة الاصطلاحيين وهم جمهرة أهل النظر ، وكثير من علماء الكلام . وتوسط فريق آخر فقالوا بالاصطلاح في البعض دون البعض الآخر ومن هذا الفريق الغزالي والقاضي أبو بكر ، وأبو اسحق الاسفراييني وامام الحرمين ، وفر فريق رابع من الميدان وقال بالتوقيف وعدم ابداء رأى من الآراء وقد احتج أولو التوقيف بالآية الشريفة وبما رواه وكيع عن شريك عن عاصم الجرمي

عن سعيد بن معبد عن بن عباس رضى الله عنهما أنه قال . علمه كل شيء  
حتى القصصه والقصيمه والفسوه والفسيه ، ولهم دليل آخر على خلاصته  
أن الاصطلاح لا بد له من اصطلاح آخر ، وذلك الآخر لا بد له من  
آخر فيتسلسل الامر أو يدور ، وهناك اتخذ فريق الاصطلاحيين  
مجنأ يذودون به عن أنفسهم فأولوا الآية بأنه

﴿١﴾ يحتمل أن تكون علم بمعنى الهم كقوله جئت قدرته وعلمناه

صنعة لبوس لكم

﴿٢﴾ يحتمل أن تكون الاسماء أسماء الملائكة وقد وردت آثار

بذلك عن الربيع بن يونس

﴿٣﴾ يجوز أن تكون أسماء النجوم كما رواه حاتم عن حميد الشامي

﴿٤﴾ لم لا تكون أسماء ذريته كما رواه ابن جرير عن أبي زيد

﴿٥﴾ لم لا تكون الاسماء بمعنى العلامات فإن الاسم في اللغة بمعنى

العلامة وتعايم آدم العلامات التي يميز بها الخبيث من الطيب أشرف من تحفيظه  
مجرد أسماء

﴿٦﴾ لم لا تكون أسماء قوم فنوا قبل آدم حتى يتناسق مع قول

الملائكة أتجعل فيهم من يفسد فيها لأنهم ظنوا أن الآدميين سيكونون

كالسابقين

﴿٧﴾ ميم الجمع في ﴿بأسمائهم﴾ تدل على أنها للعقلاء وليست اللغات أسماء عقلاء فحسب

﴿٨﴾ الإشارة في هؤلاء دليل على أن السميات المتحدى بها كانت موجودة بالفعل والسميات اللغوية لم تكن وجدت كلها بل صفة التكوين والخلق لاتزال تبرز للناس مخلوقات جديدة

﴿٩﴾ أبو بكر القاضى يقول أن عمدة التوقيفين الآية : وهذا لاجبة فيه

﴿١٠﴾ امام الحرمين يقول ان السكل جائز والاية ليس فيها دليل على أحد الجائزين

(١١) الغزالي يقول يحتمل أن تكون هذه الأسماء مصطاحا عليها قبل أن يخلق الله ادم . وأما حديثهم فهو معارض بما رأيت من الآثار القائلة انها أسماء الملائكة أو الذرية أو غير ذلك . ينضم لذلك عدم "شهرة في رجاله . ويقوى الشك في الحديث اشتماله على كلمة الفسوة والفسية فما كان معلم العالم الادب لتفرج شفاته صلى الله عليه وسلم عن مثل هاته الألفاظ ولمست تعوزه في حديثه صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة مثلاً يضربه بالحقارة

وأما دورهم . وماتمسكوا به من أن الاصطلاح يتطلب آخر مثله فحسبى أن أحيلهم على الصبي يتعلم لغة والده دون أن يتوقف ذلك على

اصطلاح أو اصطلاحات أخرى .

ان هنا نرى أن دعوى الخصوم أضحت كثيبا من الرمل تعاورته السيول من كل جانب ففرقتها أيدي سبا . ولكن انهيار مدعى الخصم لا يستلزم صحة ما ندعوا اليه . وانهيار كشيبه لا يحتم قيام كشيبنافلا تزال دعوى القائلين بالاصطلاح شاغرة تتطلب الدلائل والبراهين . وهاهي ذي عشرات بلغت من القوة حد اليقين

١ قوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم )  
الست ترى معي أن هؤلاء القوم المبعوث اليهم الرسول يجب أن تكون لهم لغة قبل أن يرسل اليهم ليستطيع أن يتفاهم معهم وأن يبلغهم بها رسالة ربه . ويجب لذلك أن يكون طريق تلك اللغة غير طريق الوحي والتوقيف

٢ تلك القبائل الضاربة في الصحاري الواسعة وجزر المحيطات الفسيحة . من أي طريق جاءها الوحي باللغة وهي لم تبلغها دعوة نبي ؟  
٣ لقد ماتت الفاظ من اللغة ولو كانت توفيقية لنزل ناسخ لرفضها  
٤ عدة لغات العالم الآن تناهز أربعة آلاف ولم يروا أحدا من أهلها أن نبيا نزل من السماء بلغته . ولو كان من ذاك شيء لحرص الناس على روايته وأذاعته لانه يشرفهم ويرفعهم مكانا عاليا

٥ قياسا على ميلاد بعض اللغات وفناء البعض الآخر انجزم جزما  
لاشك فيه أن ستوجد لغات أخرى . فهل ستنزل الملائكة على بعض  
الناس فيما بعد ؟ ذلك ما ليس له من - ببيل

٦ نسمع الآن من علماء اللغة نداء صارخا بان نضع مفردات  
للمصطلحات الحديثة . وذلك إجماع لغوى من أهل العصر على أن اللغات  
اصطلاحية

٧ وضع الشيخ السكندري أسماء ووضع مجلة الهلال والمقتطف .  
بل وضع مدير حديقة الحيوانات أسماء عربية لبعض الحيوانات الغريبة  
عن بلادنا . ولم يضع كبار التجار ورؤساء المستوردين من الخارج أسماء  
عربية لما يستحضرونه من بلاد الاجانب يضعونها وتذاع عنهم وتندمج في  
اللغة العامية فهل ذلك طريقه التوقيف أيضا ؟

٨ للمتجارين أثناء المعارك لغة سرية . بل وللعشاق لغة يتراسلون  
بها تواريا عن النظارة فهل ذلك من التوقيف أيضا ؟

٩ وضع علماء التوحيد كلمة الدور ووضع علماء النحو كلمات الفاعل  
والفعل والصفة المشبهة على مصطلحاتهم الخاصة . ووضع علماء الاصول  
كلمتى النقص والكسر لتخالف الحكم عن العلة ولم يدع أحد منهم أن  
ذلك طريقه وحى أو إلهام أو كرامة



١٠ لو كانت توقيفية لوجبت المحافظة على تلك المفردات في كل لغات العالم من شرقية وغربية ولرأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون ذلك ويمانونه ولم نسمع به

١١ الاشتراك في اللغة وخصوصا نوع التضاد منه يعتبر عيبا فيها لانه يدعو الى التردد وخفاء المراد وما كان من عند الله فلا عيب فيه

١٢ الدافع الى الاشتراك ضيق المفردات والله لا يعجزه شيء

١٣ لو كانت توقيفيه لما كان لامرى القيس فضل في تقييده الا وابد ولا لقس بن ساعدة فضل في اختراعه (أما بعد)

١٤ لو كانت توقيفية لحرم الاختراع في الاساليب في الاستعارات والكنايات.

١٥ المجمع اللغوى المصرى سيجتمع انشاء الله عما قريب لوضع مفردات جديدة . ولا يتلاءم مع مشروعه القول بالتوقيف ( وهذا ما دعانا لتأليف هذا الكتاب )

١٦ لغة الاسبرانتو التى وضعها فى العصر الحديث بعض الذين يريدون جمع العالم على لغة واحدة . . هل ذلك توقيف أيضا ؟

الى هنا نمسك القلم عن السير في البراهين . ولو شئنا أن نطلق له العنان لضاقت بنا الصفحات . ولكننا قبل أن نودع ذلك الباب نبين

المطلع أن ابن دقيق العيد يذم ما نسب للأشعري من القول بالتوقيف  
ويبرهن على رأيه بأنه لو كان ذلك رأيه لقلقه القاضى وغيره من محققى  
كلامه . فها نذا قد أثلج صدرى . واطمأنت لما رأيت . وما أجهدت  
نفسى فى البرهنة عليه

### ﴿ كيف نشأت اللغات ؟ ﴾

جرت سنة الله فى خلقه ألا يخلق شيئاً طفرة . بل كانت الحكمة  
الالهية تتبع طريق التدرج فى الخلق والابداع . فأعلمنا أنه خلق  
السموات والارض فى ستة أيام ولو شاء أن يخلقها كلمح البصر لفعل .  
ولقد عهدناه بخلق الانسان مضغة فعلقه فطفلاً وكان قادراً على أن يخلقه  
بشراً سوياً . ولكنها الحكمة الالهية تتجنب الطفرة فى كل شئ لتعلمنا  
كيف تتحلى بالصبر والاثابة . ولا نأخذ أنفسنا بالقهر والغلبة .  
وأخرى لئلا نفاجأ بالخلق الجديد فلا تأنس قلوبنا اليه ونفر منه  
ونكون حرباً عليه فيهلك ونهلك وفى ذلك خراب العالم وفناؤه . تلك  
سنة جرت فى عالم النبات ينشأ بذراً ترعاه قطرات الماء فتفساب جذوره  
فى الثرى ثم تبسق سيقانه وأوراقه وأغصانه فيستوى دوحاً وارفاً  
الظلال . وفى عالم الجماد تتحجر الفحمة ولا تزال تصهرها حرارة الارض  
وتتفاعل مع عوامل التكوين على مر السنين والاعوام فاذا بتلك الفحمة

المسودة في زوايا المناجم ماسة مشرقة تزين الصدور والنحور . وحيثما  
تلفتنا وأني توجهنا نرى التدرج في التكوين طريقاً لا عوج فيه ولا أمتاً .  
واللغة كأن حي بل كأن له قيمته وله خطره . ولقد بينا في ثنايا هذا  
الكتيب أثرها في الاجتماع وفي التفكير . فعلى ضوء تلك النظرية  
وأشعة هذا الرأي نبحت نشأة اللغات وتبين كيف استطاع الانسان  
أن يتفاهم مع اخيه الانسان . لننظر للحيوان الاعجم وللطفل ولتلك  
القبائل الضاربة في الادغال والغابات والصحارى وجزر المحيطات ثم نسير  
رويدا رويدا حتى نبلغ بها القمة التي بلغتها . : المكانة التي مشغلها

### ﴿ لغة الحيوان ﴾

فالحيوان تتساءل بازائه هل له سبيل يتفهم بها مع أبناء جنسه ؟  
الجواب صريح في الحيوان قد يستطيع في بعض الاحايين أن يعبر عما  
يكنه ضميره . وقد يفهم زميله ما دار بخلده . ولا نستطيع أن نسمى ذلك  
لغة فقد لوى الاصطلاح أعناقنا بتعريف اللغة بأنها ألفاظ يعبر بها كل  
قوم عن أغراضهم . ولغة الحيوان ليست من اللفظ في شيء . وهل  
نستطيع أن نسمى ذلك الصوت الساذج الذي ينساب من فم الحيوان  
لفظا ما دام الاصطلاح كم أفواهنا مرة أخرى بأن اللفظ هو اسم لصوت  
ذى مقاطع ؟ لهؤلاء المصطلحين رأيهم فانما يعرفون لغة الانسان ولفظ

الانسان . أما نحن فحين نتكلم عن لغة الحيوان انما نبحث عن سبل التفاهم في أى ثوب أسفرت ومن أى ناحيه أشرقت . نتخذها جسراً نعبّر عليه لنعرف لغة الانسان . . . وحينما نرسل تلك النظرة الفاحصة للحيوان نرى بعض فصائله قد يتفاهم مع الآخر . ولولا سمعه فى أفواهها وضعف فى عضلات السنتها وصغر فى مخها بالنسبة لأجسامها لتساوت مع الانسان فيما يمتاز به عنها وهو المنطق . بيد أنها وإن عذمت المنطق فلم تعد سبلاً أخرى للتفاهم . نحن لا نعلمها وإن علمنا آثارها . فهذا (الورد إفبرى) الانجليزى وأحد اللذين قضوا مشطراً من العمر فى البحث عن الحيوان وطبائه يحدثنا عن النمل حديثاً طلياً بأنه وضع ذبابة كبيرة فى طريق نملة فمالجت حملها ولما لم تفلاح أنسابت مسرعة الى قريتها ثم عادت ومعها عشرات من رفيقاتها مزقن اديم الذبابة كل ممزق . ولقد رأيت بعينى رأسي ذئبا يعالج جثة هامدة بين الحقول . وكأنه كبر عليه أن يحرم أخوانه من تلك الغنيمة الباردة فعوى فجاءته الذئاب ثم أسر عن اليه من كل حدب وصوب وما هى إلا دقائق حتى تحولت الجثة الى بطون الذئاب . اللهم الا عظام مفككة الاوصال أستعصت على الانياب . وهل غناء المصافير . ونعيق الغربان الا اغراء للانى أو تشوقاً للطعام ؟ والطعام والانى هما كل أغراض الحيوان وأقصى أمانيه فى الحياة وقد استطاع

أن ينبه لها . فكانت لغة وأفية بما يخالج نفسه وما يدور بخلد  
﴿ لغة الطفل وما يخترعه من أساليب ولفظ الأمومة في كل لغة ﴾  
والطفل . يصرخ اذا عضه الجوع فتهرع اليه أمه وهو يعلم أن  
بكاءه يجذبها اليه فيتخذ ذلك وسيلة ناجعة . ولغة مفهومة . ولا يزال  
ذلك شأنه حتى اذا أتم أيام الرضاع . وألحت عليه امعاؤه ثم أراد التعبير  
عما في نفسه فلا يرى سبيلا لذلك غير مكاية اذ دراد الطعام فيقول (مم)  
وظريف أن نذكر هنا وصية أحد الطفيليين اذ قال لابنه وهو يعظة  
يا بني لا تتكلم على الطعام الا بلفظة نعم فانها مضغة ( ونعم ومم جرسهما  
واحد ) يبدو الطفل لغته بتلك الكلمة الموسيقية الوقع على أسماع أمه  
ولا يزال يرددتها حتى اذا تطلب أمه لغرض غير الطعام والشراب لم  
تكن علفت في نفسه كلمة غيرها فيناديها بها أو بما يقاربها فيقول . .  
( أم ) ولما كانت تلك الكلمة استجابة لداعية الطبيعة كان لفظ الام في  
جميع لغات العالم آريها وطورانيها وساميها واحد اللهم الا تحوير بسيط لا  
يوسع شقة الخلاف بينها فهو في العربية ( أم ) وفي الانجليزى Mother  
وبالفرنسية Mère وفي اللاتينية Matar وفي اليونانية Mitir  
وفي السنسكريتية لغة الهند Matir وفي لغة التبت ( يم ) وفي  
الحبشية الاحمارية أو الجعزية ( يم ) أيضاً . وفي الصينية ( مو ) وفي القبطية

المصريه ( ماو ) . . واذا اتت دائرة معارف الطفل تلقف كلمة من والديه وأخرى من الاطفال الآخرين . ثم تراه في خلال ذلك لا يفرق بين ضمير المتكلم والمخاطب . ولا يعرف صيغة الجمع من صيغة المفرد ودونك مثلاً ناطقة بما تتحدث عنه . أمرت أم طفلها أن يذهب مع والده الى الحقل فقال له الطفل ( أمك بتقولك خدنى معك ) يريد أن أمي تقول لك . وذلك أن الناس دائماً يخاطبون الطفل بأمرك فظن أنها كذلك في كل استعمالاتها . وتحدث طفلة عن إناث من الاوز فقالت ( دول انتيه ) تريد اناها . وكذلك كان شأن اللغة في فجرها لا تفرق بين المفرد والجمع ولا تعرف لكل منهما صيغة خاصة بل اللغة الصينية حتى في ذلك العهد الذي ارتفع فيه منار الحضارة لا تفرق بين الاسم والفعل والحرف وكل ذلك يتميز بالقرائن والسياق وتركيب الاسلوب . وأنت تعجب فعجب أمر تلك اللغة أكثر لغات العالم عدداً . يتكلم بها زهاء ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ خمسة مليون نفس وأهلها من السابقين الى الحضارة . ولكن يذهب عجبك إذا عرفت أن أساليب ( كون فوشيوس ) مقدسها العظيم أتها في فجر حياتها حافظت على نصوصه وتعاليمه وأساليبه

ثم نعود الى الطفل وما يخرج من خياله من صيغ الجموع والضمائر . ولولا أن ينهاء أهله لاستمر في شوطه وربما قلده غيره فكانت لهجة ثم لغة قائمة

بنفسها. والحديث عن الطفولة وما تختتره من أساليب لغوية حلوترديده  
ثم هو واسع الجنبات . وليكننا نمر عليه ص الكرام . فكفى من القلادة  
ما أحاط بالعنق . وكفى من حديث الطفولة ما نكتشف على ضوءه شيئا  
من نشأة اللغات

﴿ لغات القبائل المتأخرة في أواسط أفريقيا وأستراليا وأمريكا ﴾

﴿ وأمثلة كثيرة من عباراتها بلغاتها ﴾

والطفولة في العمر كالطفولة في الحضارة والاجتماع . . فلك قبائل  
الهنود الحمر بأمريكا . وهاته قبائل السنغال التي تمثل لنا حياتهم الفطرة الاولى  
للانسان . وكثير غير هؤلاء وأولئك من اخوانهم في البساطة  
والسذاجة تمثل لنا أساليبهم في أحاديثهم ومحاوراتهم نشأة اللغة في المصور  
الاولى . فلغاتهم قليلة الحروف . قليلة عدد الكلمات مجردة من علامات  
التعريف والتذكير والتأنيث الى نهاية تلك الخواص التي تتسم  
بها اللغات الراقية . وما كان ذلك في نفسه غريب أو مستبعد فسنبين  
بعد صفحات تأتي أن كثرة الحروف في الكلمة الواحدة دليل على أنها  
مركبة من معان متعددة . وحياة هؤلاء البسطاء تتجاني عن التقييد  
والتركيب . وتعريف الكلمة أو تنكيرها معنى آخر غير المعنى الاصلى  
فالكلمة المعرفة مركبة من المعنى الاصلى ومعنى آخر هو انه معروف

مشهور . والتركيب لا تنرض به عقلية هؤلاء الاقوام الذين تحكمهم  
عاداتهم الفطرية وما جبلوا عليه من القناعة بالاوليات فكان محتوما عليهم  
أن تخلو لغاتهم من كلمات القوانين ومصطلحاتها . ومن ألفاظ المحامين  
والدوسيهات والمسكاتب والجلسات ومواد القانون الجنائي والمدنى  
والتجارى . ثم هم فيما بين ذلك يعيشون على الصيد والقنص . ويحيون  
على ما تتيحه لهم الصدفة . وما تهيه المقادير دون سعى أو جهاد . ينام  
أحدهم ليله ونهاره فان اتاحت له الفرصة بظي تمس حظه وضل سبيله  
فذلك . وإلا طوى الايام والليالى نخلت اغتهم من أسماء الزراعة وآلاتها  
والنباتات وتعاليمها من كيفية السقى والزرع والحصاد والجنى . فيها أنت  
تراهم عديموا هذين القاموسين الواسعين قاهوس الزراعة والقانون . ثم  
هم بعد ذلك راضوا أنفسهم على شظف العيش وخشونة الحياة . وقنعوا  
بما يستر العورة . ومنهم من ترك العورة عارية . وترى أحدهم يستعمل  
جلد حيوان تصيده وقله من الرمضاء . ومجنا من الزمهرير . وقد يسد  
به باب الكهف الذى يأويه . أو يدثر به حينما يأخذ الكرى بمعاقد جفنيه  
وعساه إن وجد ما يقتات به فى طريقه أن يحمله فى ذلك الجلد . وأن  
يستبقيه فى ثنياه اذا عاد الى مقره . وعساه أن يتخذة درعا يدفع به أظافر  
الوحوش والحيوانات المفترسة . وكثيرا ما تعترض هؤلاء الساكنين .



ولعله يفترض ذلك الجلد بقي جسمه وخز الحصى وتضاريس الصخور  
تعددت الاستعمالات والجلد واحد له كلمة واحدة تدل عليه . واسم  
واحد ينبي عنه . ولو كان ممن يسكنون القاهرة أو لندن أو باريس أو نيويورك  
وكان من السراة المترفين لكان في منزله من الاثاث والرياش آلاف الاسماء  
من سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . وعمارق مصفوفة . ووزرابي  
مبثوثة . ولكان له من أنواع الملابس أغطية الرأس والعنق والجسم والرجل  
أسماء يكثر عددها : ولرأى من أسماء الادراج والصناديق والعربات  
والسيارات ومن أدوات الحفظ والأجل ما تضعف ذاكرته أمام وعيه  
واستذكاره : فتأمل معي قليلا لتدرك كيف أغنت الجلدة وحدها هؤلاء  
المسكين من آلاف غيرها من المسميات : ولترسم أمام ناظريك صورة  
رائعة عن فر لغة هؤلاء من المفردات لانهم حرموا من تلك الميزات  
فما كان غريبا بعد ذلك كله أن تخلو لغتهم من علامات التعريف والتنكير  
والمفرد والجمع وأن تقل مفرداتهم حتى لا تعدو المائة من الكلمات  
وان لا تفرق لغتهم بين الاسم والفعل والحرف . وأن تفهم الى حد كبير  
بالإشارة اليدوية والرأسية والعينية . فهؤلاء قبائل أوستراليا ليس لديهم  
من أسماء الاعداد غير كلمتين اثنتين هما ( ثنات ) بمعنى واحد و ( ناييس )  
بمعنى اثنين . فاذا أحوجهم العدد الى الثلاثة قالوا ( ثنات ناييس ) أو الى

الاربعة عبروا ( بنائس نائس ) أو الخمسة نطقوا ( بنتات نائس نائس )  
أو الى الستة لجأوا الى ( نائس نائس نائس ) ثم ضاق تفكيرهم عن السبعة  
وقصر وعيهم عنها فاجأوا الى الابهام والغموض وعبروا بكثير كثير . .  
وهؤلاء قبائل الهنود الحمر على ضفاف نهر اورينوكو بأمريكا الشمالية يعبرون  
عن الخمسة باليد استعيرت للخمسة لأنها تحتوى أصابع خمس . وهي ألزم  
للإنسان من ظله فهي أقرب شيء يعبر به واسمها أهون شيء يستعيره  
لما يريد إن كان ثمة ما يسيغ ذلك التجوز ويبيح هذا النقل . وهاته اللغة  
الصينية تكاد تكون كلماتها مركبة كل منها من مقطع واحد . ولقد  
كسنا في العام الماضي وفي هذا العام أيضا إذ قرأ أخبار حرب الصين  
واليابان نذوق الأمرين من نطق أسماء مواقع الصين وأعلام قوادها  
لأنها توشك أن تكون مقاطع ثنائية متراسة . فحيثما تتلفت تجاهك  
في جمهرة تلك اللغة أمثال هاته الجملة ( كوتشى شى جن سى ) وترجمتها  
الحرفية كلب خنزير أكل رجل طعام . فتأمل تلك الاسماء الخمسة  
لتعلم أن كل اسم مركب من مقطع واحد وانظر ناحية أخرى في  
تلك اللغة هي أنها لا تفرق بين الاسم والفعل والحرف وتعرف ذلك  
موكول الى نسيج الأسلوب . وميثاق الحديث . فإذا جالت بخاطر  
أحدهم تلك العبارة ( فى المماكة ) لن يفكر في حرف جر وأنى له ذلك

ولغته منه خاوية . بل تراه يأتيك باسم يدل على تلك الظرفية ولو من طريق مجازى ككلمة وسط مثلا ثم يقول لك ( كوشنغ ) وترجمتها الحرفية وسط مملكة مستغنيا ( بوسط ) عن ( في ) لتقاربهما في المعنى لأن الظرف يتوسط ما احتواه . شأنهم في ذلك شأن قبائل المندنجو سكان أواسط أفريقيا إذا أعوزتهم ( في ) الظرفية ولم يجدوها وان يجدوها في لغتهم أتوك بكلمة تدل على ذلك المعنى عن طريق الاستعارة فقالوا ( كونوا ) بمعنى بطن . وإن أعوزتهم ( على ) الدالة على الاستعلاء استعاضوا عنها بكلمة ( كنغ ) بمعنى عنق . فبدلا أن يحدثوك عن جملة . صنع القلم في الدواة واكتب على السبورة على نحو أسلوب اللغات الراقية قالوا ( ضع القلم بطن الدواة واكتب عنق السبورة ) ولما كان العنق من الأعضاء العالية والبطن تتوسط الجوف استعملوها في تلك العبارتين لملاقة المشابهة . لكنهما في لغتهم حقائق لا يقصدون التشبيه أثناء الحديث ولا يدور بخلدن ذلك . غير أن المجاز هو المكون الأهم للغات . وبعد صفحات متعشبة يبدنا وبين هذا المجاز معركة يشتد أوارها لنكشف عنه الغطاء ونظهر ماله من تلك الأهمية وكما خات لغاتهم من كل ذلك تراها أنت تحت ناحية طبيعية في النطق وفي جرس الحروف ونغماتها . تكاد إذ تنصت لأحاديثهم تسمع هممة ونميمة . وتمخال أنك أمام طيور تتباغم

لا أناسي بتطرحون أساليب الحديث الطلى . وما كان ذلك بدعا منهم  
فهم أبناء الطبيعة يصوتون كما تصوت . وينطقون كما تسمع آذانهم من  
أصوات الهواء والماء ومن أهازيج الحيوان . بعد هذا كله نزن أننا قد  
رسمنا صورة رائعة عن أساليب تلك القبائل في محاوراتها ومخاطباتها  
لنعرض مرآة مصتولة تنعكس عليها نشأة اللغات . تلك التي بدأت  
إشارية فاصوات ساذجة تحكى أصوات الطبيعة ثم لازالت بها عوامل الرقى  
والتموتبعث فيها الرفعة والنهوض حتى أصبحت كما ترى . كلمات تبلغ مثات  
الألوف . وقواعد فصلت تفصيلا

﴿ بدء التفاهم بالإشارة وأسباب حلول الألفاظ محلها ﴾  
والآن فلنتحدث عن الإشارة . ولنتبين كيف بدأ الناس بها  
يتفاهمون . وبحت ذلك شأنه يرجع بأذهاننا الى طبيعة الوجود وسنة  
الخلق تلك السنة التي أوجدت في كل كائن نام (ولا أقول حي فحسب)  
قوى يدفع بها عن نفسه كل ما يهددها من أخطار . فهذا هو النبات اذا  
جرح لحاؤه . تقطر ماءؤه ! ثم تجمد حوالى الجرح فوقاه الهواء والشمس  
وحال بينه وبين الهوام والجراثيم . ننظر تقاطر الماء منه فنعلم أنه جريح  
يدفع عن نفسه . ويدركه البستاني بقطعة من طين لازب يضمدها بها ذلك  
الجرح الأليم . وننظر الحيوان يقف مشدده . أو تنتفخ أوداجه . أو

يكشر عن أنيابه . أو تغور عيناه فنقرأ خلال تلك الصفحة ما وراءها من اضطراب نفسى بدت آثاره على الجلد فتقلص . وعلى الفك قارنعد وعلى العين فإذا هي تدور ناظرة نظر المغشى عليه من الموت . أشارات فطرية وتقلصات اضطرابية . وان شئت فقل هي استعداد الجسم للدفاع عن نفسه هجوماً أو هرباً . ونظرات حائرة ترتقب سبيل النجاة . ثم هي في الوقت نفسه مرآة لم تعرف النفاق والمواربه تريك تلك الثورة الحائرة في نفس الحيوان . وتشير اليك أن وراء الأكمة ما وراءها . وقد عرف الانسان وأهدته تجاربه أن تغير عضلاته . وتقلص جلده يدل على ما في نفسه فعلم أن ذلك التغيير في وضع الأعضاء كمد اليد تارة . وثنيها تارة أخرى . واهتزاز الرأس علواً وانخفاضاً . ويميناً ويساراً يصلح أن يكون أداة تفاهم يعبر بها عما يحول بخاطره . ويدل بها عما يعتلج في نفسه فاستعملها . وكانت باكورة التفاهم البشرى وفجر الترابط الأنسانى . لهذا بدأت الإشارة ساذجة ككل البواكير إشارة المحسوسات . وتقليد لما يراد التحدث عنه . أو رسمه باليد . ثم تعقدت وتعددت وكبرت على المحسوسات فعبرت عن المعنويات . وهى اليوم تستعمل للتحية والتعظيم برفع اليدين الجبين ورفع القبعة عن الرأس . ولها القدح المملى في المقابلات والمصاحفات . وان خطبت خلت عنها فهى فاتره ولو أنك رأيت

موسوليني أو وأيت صورته وهو بخطب . وشاهدت إشاراته وحركاته  
 لحكمت بأنها سبب مهم في تأثيره على السامعين . وأنها سر نبوغه  
 واعتلائه كرسى وزارة ر ما العتيد . والتفاف الملايين من ذوى القمصان  
 السوداء حوله . وتكوين (فاشيست) في كل أنحاء العالم

ونأثيرها نتهـه في تلك القضية التي يعترف بها الناس جميعا وهى .  
 أن المرء يتأثر مما يرى أضعاف ما يتأثر مما يسمع . فبهيك حدثتني عن  
 الميدان والحرب وأوتيت من البلاغة أروع الأساليب . أياكون ذلك  
 أكثر أثرأفى نفسى من رؤية المعامع والدماء الجارية كالأنهار من حولى ؟  
 لن يتساويا . وكمننا من يستطيع رؤية عملية جراحية فى جسم عزيز لديه ؟  
 قل من يستطيع ذلك . فى حين لم نر إنسانا أنغمى عليه من حديث عملية  
 جراحية أو نحوه . والتاريخ يحدثنا عن أنطونيوس حينما وقف خطيبا  
 يستنهض الرومان أن تثار من بروتس وعصايتة الذين خضبوا أيديهم  
 بدم القيصر القليل . ولما ضاعت كادراج الرياح بلاغته عمد الى جمان القليل  
 فكشف عنه غطاءه ورأى الرومان الجراح والدماء فثارت حميتهم لما  
 رأوه لا لما سمعوه . واستجابو خطيبهم لمنظر الدماء لا لخطابته . لهذا كله  
 تطاول بالاشارة بالعمر . وهاهى الآن تشارك الالفاظ فى الدلالة بعد  
 أن انفردت بها أحقابا طويلة فى العصور الخاليات . غير أن الاشارة

محدودة الدلالة. وبيانها لا يعد والمحسوسات : تتطلب الى حد بعيد حضور  
المشار اليه بالذات ليمكن لفت النظر اليه . وأن يكون سهلاً خالياً من  
التمقيد والتركيب : كما تتطلب ضوءاً ساطعاً بواسطة يتمكّن المخاطب  
من رؤية الاشارة والمشار اليه ليتبين الدلالة ويفهم الغرض : وأن نمت  
على المخاطب دلالة الاشارة وتخرجت أمامه سبيل الفهم لأحد هاتيك  
الحوائل تباطأ عن الاستجابة وتغاضى عن الداعي : فيتألم المشير وتأخذه  
نوبة الغضب فيصيح متأثراً مما حاك في صدره . وتلك طبيعة الانسان  
والحيوان يصبح ويئن إذا ألم به ما يثير فيه الصياح والأنين : فيشير  
ويصيح : ثم يكرر الصياح والاشارة : فيجتمع أمام المخاطب شيئان  
اشارة وصياح : وذلك أدعى لفهمه : وأقرب لاستجابته : وبذلك ينضم  
الصوت للاشارة : ويتعاون اللسان مع اليد في الافادة وقد يفهم  
المخاطب غرض المتكلم فيستجيب دعاءه ونداءه : وهو بدوره يعلم أن  
الاشارة وحدها لم تجده نفعا . وأن صوته الذي فاه به ساعده على بيان  
غرضه : فيعتاد ذلك في محاورته : ويعتاد ذلك منه مخاطبه . وهنا تبدأ  
دولة الالفاظ في التكوين . وتأخذ شمسها في البروغ . وقد كان محتوماً  
على شمس الالفاظ أن تبقى طيلة الدهر خافتة لا تشع ولا تضي لو أن  
الدهر كان نهاراً كاه : فالليل ستار يحجب العين عن الا بصارفتهم قيمة

الاشارة في الدلالة . ويضطر الانسان أن يستعمل صوته في اتصال غرضه . والصوت طريقه الهواء وهو لا يحجبه ليل . . فالليل وظلامه من أهم العوامل في وجود اللغة الصوتية : وهو لا القبائل المتأخرة لا يستطيعون الحديث في ظلام الليل لان الاشارة لا يزال صرحها عاليا في لغاتهم والظلام عدوها اللدود . وغياب المشار اليه معول آخر يجعلها ضعيفة الدلالة . وكونه معنويا غير محس كثير التعقيد والتركيب معول ثالث في هدمها والقضاء عليها : فتضافرت تلك الاعداء الثلاثة الظلام والمعنوية والبعد على أضعاف سلطتها : واقامة صرح الالفاظ

﴿ بدء التفاهم اللفظي . وأمثلة من قديم اللغات وحديثها ﴾

وهاهي دولة الالفاظ بدأت وليدة ساذجة بسيطة : وبدأ الناس يعبرون عما يجول في خواطرهم بالاصوات الطبيعية . يثنون اذا ألت بهم الملمات . ويصيحون اذا دهمتهم المفزعات . فتكون تلك الانات والصحيحات دليلا على ما وراءها من عوامل الآلام النفسية . وتلك طبيعة الانسان والحيوان . يؤثر الالم على الاعصاب فتضطرب . ومن أرقها احساساً أعصاب الرئتين تضطرب فيحتاج ذلك المنفاج الا انساني فيقذف الهواء بقوة فاذا به أنثاث وزفرات . والالم يسرع في دورة الدم يفرعها من الجسم الى القلب . ومن القلب الى الرئة فتمتليء به ثم تلتقط



كمية من الهواء وافرة لتخرج كربون ذلك الاحتراق الداخلي السريع ثم يخرج الهواء بقوة محتكا بالآلات الصوتية فتصدح بما يحول انتباه المرء عما يعتلج فؤاده : وصدحها أنات وزفرات . رأى الإنسان أن تلك الحالة النفسية تلفت النظر فاستعملها إذا أراد أن يعبر عنها . ولو أنك رجعت بخيالك إلى العصر الحجري أو العصر الجليدي ورأيت أنساناً يذبح لآلهة لا خيه إنما يقض مضجعه فلن تراه يزيد عن ( آه ) ثم يشير إلى مكان الألم . مثله كمثل الطفل يؤلمه ذراعاه فيهرع إلى أمه حاكياً صوت التألم في بعض أحيائه قائلاً ( واوه ) ثم تمر آلاف السنين على بني الإنسان وتلك حالتهم حتى إذا نضج العقل الإنسانى بعض الشيء ودبت فيهم روح الاجتماع : واقتطع أحدهم حجراً يجعله واحدة إلا ثا في لقدر ينضج عليه طعامه وسمع صوت ذلك القطع ثم ضمه حفل من الناس وأراد أن يحدّثهم بما سمع من صوت ذلك القطع فماذا هو قائل ؟ وبأى سبيل يعلم القوم بما سمع ؟ الطريق الطبيعى هو حكاية صوت ذلك القطع نفسه فيقول ( قط ) . أما العين من قطع فذات معنى آخر غير القطع المجرد : وسنتحدث عن ذلك بعد صفحات ونضرب له الأمثال : ولو أن المحدث أراد غير حكاية ذلك الصوت لضاق مفردات اللغة عن إسعافه . ويؤنس القوم من الفهم عنه فطبيعة القائل . وطبيعة اللغة في تلك العصور العريقة في القدم . وطبيعة

التفهم هي حكاية صوت القطع نفسه فكانت اكلة ( قط ) علامة نحضر الى الذهن صوت تفرق اوصال المقطوع . وبرهان صدق على أنها استجابة لنداء الطبيعة أنها في كل لغة من لغات العالم قديما وحديثا ترمز لذلك وتدل عليه . فهي في العربية قطع وفي الانجليزية Cut كت . وفي الفرنسية Casser كسيه وفي الصينية ( كت ) وفي الهيروغليفية (خت) والسكاف والحاء ينبتان متجاورين من أعلى الفم . فما أسهل ما يتزاوران وتحل إحداهما دار الأخرى . على أن ( خت ) الهيروغليفية تحكي بنفسها صوت القطع أيضا . كذلك الصلصلة هي تحكي تماما ذلك الرنين الذي تقسمه الاذان من قرع الاجراس ولو كان الجرس ناطقا لما زادت لغته عن صل صل صل . لذلك أنت ترى اسم ذلك الصوت في العربية صلصلة كما هو في الفرنسية Sonner صنيه : ثم في الانجليزية Ring رنج . ورنج هذه تحكي لنا بوضوح رنين الجرس . بيد أننا نلاحظ تفاوتين صلصلة وصنيه الفرنسية من ناحية ورنج الانجليزية من ناحية أخرى . يتبخر هباء ما نلمسه من ذلك التفاوت إذا علمنا أن الاجراس تتفاوت كبرا وصغرا وأن صغيرها يشبه رنينه الكلمتين الفرنسية والعربية . وكبيرها يمثل طنينه الكلمة الانجليزية فأنك لو تأملت جرسها التلمست فيه صوت الاجراس الضخمة بينما الصلصلة وصنيه يعطيانك صورة طبق

الأصل من الأصوات الرقيقة التي تنبعث من الأجراس الصغيرة فكانت  
للسوسة اقرب . وبها شبه . سمع كل من الفريقين نوعا من الأجراس  
فخافاه . ولئن شئنا اتبع ذلك في كل لغة من لغات العالم . وفي كل أسلوب  
من أساليب الناس لوجدناه أضواء من الشمس تتوسط كبد السماء في يوم  
صائف على صحارى خط الاستواء . وعلى أن أطلب منك أن تمسك بيدك  
قلما وتكتب به متحاما لا يسير اتم ادهف أذنيك واستمع وتذكر كلمة  
( صرير ) وقارن بينهما فلن تراك الا امام صورة طبق الأصل . أو امام  
الحسناء وصرآها . صورة واحدة نجأت في ناحيتين . أو أن تجلس على  
ضفاف نهر تجاه قنطرة تحتبس الماء وتتركه ينساب ويثدا ويثدا بصوت  
طبيعى رقيق . ثم اده انتباهك ويقظتك وتذكر أن آباءك الأقدمين  
سموا ذلك الصوت ( خريرا ) . وقارن بين الاسم والمسمى لملك تعترف  
بالمناسبة بينهما . وأن آباءك الاولين لم يفرطوا في اختيار لفظ محكى المعنى  
ويصوره بريشه رسام ماهر . وتقتنع بأن منشأ اللغات حكاية الاصوات .  
وما بالى أسوق اليك البراهين من كل مشرق ومغرب وهذا هو  
الخليل بن أحمد أكبر أئمة اللغة ينهنا لتلك المناسبة فيقول . كأنهم  
توهوا في صوت الجندب استطالة فقالوا صر . وفي صوت البازي تقطيعا  
فقالوا صرصر . وذلك سيبيويه . وأنت تدري من سيبيويه . امام النحو

الأكبر يضم صوته للخليل في تلك المناسبة على ما رواه عنهما ابن جني في خصائصه . وابن جني بدوره يعقد فصلا لمناسبة الالفاظ للمعاني ثم يقول في ثناياه مشيرا لتلك المناسبة . هذا موضع شريف . وباب واسع جدا لا يمكن استقصاؤه . وأن ندش لا ننس ما رواه السيوطي في كتابه المزهري من أن أهل اللغة والعربية يكادون يطبقون على ثبوت مناسبة الالفاظ للمعاني . لكن الفرق بين مذهبيهم ومذهب عباد الصيمري أن عبادا يراها موجبة ذاتية بخلافهم . وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الاصلح في أفعال الله تعالى وجوبا . وأهل السنة يقولون أنه يفعل الاصلح **لكن** فضلا منه ومنا ولو شاء لم يفعله . انتهى كلام السيوطي بحروفه تقريبا . فتأمل ما تلاه علينا من اجماع علماء العربية على تلك المناسبة بين الالفاظ والمعاني والتفرقة بين رأيهم وبين رأي عباد من وجوب المناسبة . أو انها موجودة غير واجبة ثم اطرب لقياسه ذلك الرأي برأي المعتزلة في الاصلح وأن أهل السنة يقولون بالاصلح أيضا في كل أفعاله تعالى يبد أنه عن اختيار منه وفضل .. وهذا ما نادى به من تلك المناسبة . ولا يدور بخلد عاقل أن يرى وجوب تلك المناسبة . فقد يتأني أن يعبر الانسان بما لا يناسب ما أراده من المعنى ويتلقى الناس تلك الكلمة بالقبول فتنتشر بينهم وتشيع في أوساطهم . وتحتل قواميس

لغاتهم . غير أن ذلك في القليل النادر . فدعني اتحدث إليك عن تلك المناسبة في الاغلبية الساحقة وعن الارتجال في القليل الذي لا يكاد يوجد . لان قانون تداعي المعاني الذي يجعل الخواطر المتلازمة تتوارد للذهن أخذاً بعضها بحجز بعض سبب في نهاية الاهمية يلجى المرء لنقل أحد المتناسبين الاخر بقدر ما يبعده عن الارتجال . فأنت ترى الانسان في العهد الاول اذا أراد أن يعبر عن المعنويات لجأ الى ما عنده من الفاظ المحسوسات فأخذ منها وورمز به لذلك المعنوى لما قد يكون بينهما من رابطة أو صلة كلفظة (شهر) كانت في السامية الاولى اسماً للقمر بدليل أن القمر في الشقيقة السورية اسمه (سهر) نقله العرب الى تلك الايام المعدودات لانهم يحتسبون شهورهم بالاهلة التي ترى في صحرائهم مشرقة ناصعة تطل عليهم من سمائمهم في مواعيد منضبطة

( تتركب الكلمة من مقطع واحد في الاغلبية الساحقة )

( من الكلمات والسرف في زيادة الكلمة عنه وأثر النحت في ذلك ، وامثلة )  
( من لغات متعددة )

ترأى لك من خلال ما ذكرناه في الكلام السابق أن اللغات حاكت أصوات الطبيعة فكانت الفاظاً ساذجة هي أقرب ما يكون لتلك الاصوات التي تسمعها من حركات الاجواء .. ومن اصطفاق الهواء

بالاشجار والصخور . غير أن الرق الاجتماعي : وتعدد مطالب  
الانسان تدفعه الي ترديد صوته وتكريره . وتكرير الصوت وترديده  
تعدد للحروف التي هي أثر ذلك الصوت المردد . وكأني بالانسان  
وهو يامر أخاه أو يرجوه في اصطياذ حيوان يدعو به . وقد لا يفهم منه ما يريد  
فيكرر ذلك الصوت الذي يدعو به . وتكرار الصوت تعدد الحروف .  
ومن ناحية أخرى فإن الحرف الواحد يصعب النطق به منفردا ولا بدله  
من تنفس يسبقه أو يلحقه . وذلك التنفس الصوتي هو حرف لين ينضم  
للحرف المراد النطق به فيتكون منهما مقطع واحد . لذلك لم يكن بدعا  
من الرأي أن نعلن أن كل لغة من اللغات العالمية تتركب كلماتها من مقطع  
واحد في مبدأ تكوينها . وإبان بزوغها . غير أن تعدد المسميات .  
وكثرة المعاني تدفع المتكلم أن يخرج عن ذلك المقطع الواحد .  
فالحروف في لغتنا العربية لا تتجاوز ثمانية وعشرين حرفاً . والمقاطع  
التي تتركب منها لا تتجاوز بضع مئات تنشأ من ضربها في مثاتها . ومن  
الضرورة إهمال الكثير منها لثقله على اللسان . أو لكرهاته في السمع والمرء  
أن تجاوز ذلك الطور واستعمل الكلمات الثلاثية يتسع المجال أمامه وتكثر  
المفردات فيتجاوز عديدها العشرين ألفا بضرب المئات الثلاثية في ثمانية  
وعشرين حرفاً . وإن تجاوز الكلمات الثلاثية الى الرباعية غمرته المفردات

بما يفوق ستمائة ألف من الكلمات بضرب المفردات الثلاثية في عدد حروف الهجاء . وان هو دخل في المفردات الخماسية كان أمامه طوفان يتجاوز السبعة عشر مليوناً من الكلمات . . لذلك كله خرج المرء الى جو المفردات الثلاثية الفسيح ثم تجاوزها الى ما وراءها . . طريق الجأ الناس اليها عدم كفاية الكلمات الثنائية للمعاني التي زاد عددها عن عدد الثنائيات : فأنت تراهم يستعملون الكلمة الثلاثية أو الرباعية لمعنى جديد بعد توزيع الثنائيات على المعاني التي سبقته . وذلك هو أحد أسباب الزيادة عن المقطع الواحد في الكلمة الواحدة وليس هو بالسبب المهم بل السبب المهم هو تركب المعنى نفسه وانضواؤه تحت ستار كلمة واحدة : فحيث ترى كلمة زادت حروفها عن الحرفين فلا يفوتنا أنها تدل على معان متعددة في الأعم الأغلب . ولا تنس أن المعاني التي تقصر الثنائيات عنها هي معان مركبة ليست بساذجة فالمعاني الأولية الساذجة البسيطة محصورة لا تزيد عن الثنائيات إلا قليلاً . . لذلك لم يكن عجباً أن قلنا في باكورة الحديث أن الكلمات في كل اللغات تتركب من مقطع واحد في جمهورتها وأغلبها لان منشأها هو حكاية أصوات الطبيعة . وأصوات الطبيعة ساذجة تتركب من مقطع واحد . وقد ألف الرئيس ابن سينا كتاباً أسماه أسباب حدوث الحروف ذكر في خلاله أن كل حرف من الحروف الهجائية

تحكى صوتا من أصوات الطبيعة . ( فالعين ) تشبه ذلك الصوت الذى  
 ينبعث من اخراج هواء بعنف من مكان رطب ( والقاف ) تسمع مثالها  
 من فلق الا جسام وشقها و ( الشين ) من نفوذ الرطوبات بقوة من خلال  
 أجسام يابسة . ( كالصوت الذى تسمعه من القطار حين يخرج بخاره  
 بقوة من فوهة مكان الماء الحار ) و ( الراء ) من تدحرج كرة على لوح  
 ثم أتم ابن سينا بقية الحروف وذكر أشباهها من الطبيعة . ودليل آخر  
 على ما نراه الآن . هو ما نشاهده فى اللغات الا واية التركيب . والى  
 هى فى دور الطفولة أن الاغلبية الساحقة فى كلماتها هى مقطع واحد  
 فهاته لغة البرابره الذين يسكنون فى جنوب مصر . وفى مديرية أسوان  
 ترى اسم القمر بمعنى ( وس ) والخبز ( كل ) والماء ( أس ) أسماء لا تعدو  
 ذلك المقطع الواحد . ولقد حدثناك عن مثل كثيرة لذلك من اللغة  
 الصينية واللغات الا ولية حين حديثنا عن لغة القبائل المتأخرة فارجع  
 اليه وضم له أن اللغات السامية أيضا ترجع مفرداتها الى مقطع واحد  
 فى اللغة السريانية ( حش ) بمعنى تألم و ( زل ) بمعنى نقص . و ( كس )  
 بمعنى قصم . وفى العبرية ( زخ ) بمعنى طهر : و ( دق ) بمعنى دق . ولا  
 تنس هاتيك الجذور الآرية Ka كالاضجاع . و Pa بالشرب  
 و As أس للجلوس أما اللغة الصينية وبقية اللغات المنحطة فننادينا فيما



سردناه أنها تكاد تكون كلماتها مقاطع واحدة . تلك جذور اللغات  
سقتها عوامل النمو فاذا بها سيقان ثم أذواح تحمل عشرات الاغصان  
والاوراق ثم تنتقل أغصانها وفروعها الى تربة أخرى قد تكون  
أخصب منها فتنشأ شجرات أخرى تكون روضة غناء متعددة الادواح  
والافنان . ولو تأملنا أى مادة من المواد في قواميس اللغات وما تفرع  
منها من آلاف الكلمات وعرفنا ما جرى على تلك المادة من عوامل النقل  
والتجوز والابدال والنحت اعرفنا أنها أغصان وفروع لذلك الجذر  
الواحد وسنأتى لذلك أيضاً بنثل شتى من لغات متعددة حين حديثنا عن المجاز  
وأثره في اللغات . وقبل أن نأخذ في مثل اللغة العربية أعرض عليك  
ذلك التشبيه الرائع في دائرة معارف الاطفال الانجليزية التي تزيد مجلداتها

الضخمة عن العشر Encyclopepia, of .Children

حيث تقرأ في ثناياها ما معناه تقريباً أن مثل الكلمات كمثل الناس  
ينقسمون الى فصائل وقبائل وعشائر نسلت كل قبيلة وعشيرة من  
أب واحد

كمقطع Ma ما تفرعت منه غصون كثيرة وحدثناك عنها في كل لغة  
في باب الطفولة السابق

واللغة العربية . تقرأ ذلك خلال كل مادة من موادها . وفي تضاعيف

كل مقطع من مقاطعها . تأمل المقطع (قط) وما تفرع منه من قطع وقطف : وقطن . والمقطع (قص) وما تفرع عنه من قصم وقصر وقصد . وأغرب من هذا وأعجب . ثم هو في الوقت نفسه يعطيك صورة رائعة تكاد تلمسها اليد ولو لفت باثواب عما تنادي به من أن زيادة الكلمة على حرفين هي زيادة في المعنى ذلك المقطع (نب) وهو بذرة لعشرات من الكلمات على شاكلته تشابهن معه في معناه الاصلى وانفردت كل واحدة منهن بمعنى آخر يتلاءم ذلك المعنى الآخر مع ما زاد من الحروف . يدل ذلك المقطع على مطلق الظهور وكان بذرة لكل هاتيك الفروع . نبأ . نبع . نبع . نبت . نبذ . نبه . نبج . ونحن نعلم أن الفرع يحتوي عناصر الاصل ليعتفظ بنفسه ويزيد عليه ليحقق مغايرته . فأنت ترى تلك الكلمات تدل على مطلق الظهور وتزيد كل واحدة منها بمعنى آخر غير الظهور المجرد الذي يطالعك في (نب) فزاتك (نبأ) بأنها ظهور خبر و(نبع) بأنها ظهور ماء و(نبج) بأنها ظهور عبثية في فن أو علم : وأسفرت (نبه) في ثوب ظهور نباهة في شأن أو جاه . وتبدت (نبذ) في ظهور شيء تتخطاه العيون وتنبو عنه الأبصار . وأعربت (نبض) عن ظهور عروق تنبض وتكشففت (نبج) عن ظهور كلب ينبج . أأست ترى أن كل فرع وغصن م ؛ نشأة اللغات

من هاتيك الفروع والأغصان يتجلى في المعنى الاول ثم يزيد عليه ،  
ولا تنس الخافى نبح وما تحكيه اصوت الحيوان النابح حكاية  
تزرى بالفونوغراف يحكى الصوت المودع في ثنايا اسطوانته

وانى ليحلولى أن انتهج سبيل المنطقة في تشريح كلمة نبح هاته  
أصلا وزيادة لاتين ما انطوى، عليه أديمها من المعاني وما احتواه  
جسماتها من الدلالات الكثيرة . فتدل ( ن ب ) وحدها على مطلق الظهور  
والحاء تزيدها معنيين آخرين هما أن الظاهر صوت حيوان خاص  
من التى تنبح فلا تصهل أو تعوى .. فان ضعفت الباء أذاك معنى ثالث  
هو أن ذلك الصوت يطالبه انسان ولم يك ناشئا عن اختيار الحيوان  
ورغبته فان زدها سيناء وناه فقلت استنبح لكنت أمام قضية خامسة  
هى أن هذا الصوت مطلوب على جهة التنفيس والسرعة : وليس على  
جهة التسويف والابطاء . . فتأمل تلك المعانى الخمس كيف انطوت في  
أديم هاته الكلمة الواحدة وثق أمها خمس قضايا تتطلب كل واحدة منها  
البرهان اليقيني لاثباتها والدلالة عليها . فقد يعترضك أحد من الناس  
بأنه لم يظهر شيء . أو أن الظاهر لم يك صوتا . أو أنه صوت وليس نباحا  
أو أنه نباح صادر عن رغبة الحيوان وطبيعته . أو أنه مطلوب لكن على  
جهة التسويف والابطاء وليس كما تدعى ( بسينك ) أن طلبه سريع

وقد يمتد بينكما الحوار والجدل وقد تنشأ عن ذلك الحوار والجدل أمور جسام .  
كان رأيت ما يشبه تلك السين في حجة وقف وأراد أحد المستحقين  
أن يستشفع بها التغطية نصيبه عاجلاً غير آجل . .

كل ذلك بدءاً من أن نعوض النواجز على ما ارتأيناه من أن الأصل  
في سبل التفاهم الانسانية هو ذلك المقطع الواحد . وأن ما زاد عليه هي  
معان أخريات أنضممن الى المعنى الاول كل بكلمته . بل نحن على يقين  
من أن الانسان في المصور الاول كان إذا أراد ان يعبر عن تلك الكلمة التي  
معناها لا يسعه إلا أن يعبر عنها بخمس كلمات لكل كلمة معنى يخصها  
غير أن الرغبة في السرعة واختزال الكلمات اختصرت هاته الكلمات الخمس  
الى كلمة واحدة . وما يدرينا أن تنضم تلك الكلمة الى أخريات مثلها في  
مستقبل الأيام فتندمج معها وتصبح واياها كلمة واحدة ؟ ليس ذلك  
ببعيد . على أنه ليس قصرأ على اللغات الاولى . بل هو في أدنى اللغات  
العصرية ففي اللغة العربية كلمات لا يمكن أن يعبر المرء عن إحداها في  
اللغات الاخرى إلا بجملة كلمات (فتضاربوا) في لغتنا لا يمكن التعبير  
عنها في الفرنسية الا بذلك السطر الطويل ال ذون فرايه ايزن ليزور .

ils ont frappés les uns les autres

وكم وددت أن أعرف تلك الكلمات الخمس التي آلت في آخر

الامر الى كاشفها . وقد يكون ذلك في الامكان لو قارننا بينها وبين شقيقاتها الساميات . غير اننا منخرج بحكم فني . اما اليقين ورفع الاحتمال فذلك بالاطاقة لنا به . فاعتنا العربية لم تدون الا بعد ان بلغت أقصى درجات سموها في التراكيب والاساليب . ولا نعلم عنها الا تلك القطع المشرقة الديباجة في أواخر العصر الجاهلي . ولو أنها دونت في فجرها : أو لو اننا عرفنا شيئاً عن تطورها في آلاف السنين قبل بزوغ شمس الاسلام على ربوع الجزيرة العربية لقلت المهمة الشاقة التي يتجشمها من يريد البحث في تركيب الكلمات وتحليلها . وارجاعها الى جذورها الاصلية . وبذورها الاولية . غير اننا نستشف فيها اثر النحت كالمهر في غيرها يأتي الى الكلمة فيجعلها حرفاً . والى الكلمات فيصيرها كلمة واحدة . بل قد يأتي الى الجملة الطويلة العريضة فيجعلها حرفاً . وقد يتمدى ذلك فيجعلها تنويناً تنذيل به كلمة أخرى . فتلك حروف الجر والمطف كانت في أصلها كلمات مستقلة لها دلالتها الخاصة بها . لكن شذبت النحت وأنتقص أطرافها فاصيرها حروفاً . واستبهد دلالتها الذاتية . واضحت محتاجة الى فعل أو اسم تنفث فيه روحها . وتبين فيه دلالتها (فالكاف) كانت في عصرها الاول (أكن) بمعنى حقيقة . وكاني بالانسان حينما أراد أن يشبه المقتاة التي استلبت له بالبدر قال (فتاة أكن بدر) بمعنى حقيقة بدر

فانقص النحت أطرافها وصيرها كافا هيفاء القوام . و ( واو ) العطف كانت  
 في الاصل ( وو ) بمعنى وصل . وكان الناس يعبرون عن نجح محمود وعلى ( بنجح  
 محمود وو على ) بمعنى نجح محمود وانصل النجاح بعلى غير أن النحت  
 جني على تلك الواو بحنايتين أضاع نصفها وذهب باستقلالها في الدلالة  
 وتعدى النحت إلى سم الله الرحمن الرحيم فجعلها بسمة . وإلى  
 صلى الله عليه وسلم فجعلها ( صلعم ) . وخيبة الله على من يستكثر ( صلى  
 الله عليه وسلم على مبعث النور للانسانية فيختزلها ذلك الاختزال الشنيع )  
 ولقد نقسمع الى الشاميين يستفهمون عن اسمك فيقولون ( شسمك ) ؟ أو  
 عما تطلب فيقولون ( شتموز ) ؟ ولقد كانت تلك الشين جملة استفهامية  
 بمعنى أي شيء ، تموزه ؟ . أو أي شيء هو اسمك ؟ فلأزال النحت يأكل منها  
 حرفا بعد حرف حتى أصبحت حرفا . وفي العامية المصرية ( احبرين  
 معلمش ) حلتا بعد جملتين هما ما عليه شيء . ومن أجل أن . وفكر في  
 ذلك إلا عجاز والايحاز في أبلغ كتاب عرفته الانسانية حيث يقول :  
 ( حتى إذا بلغت الخلقة وأنتم حينئذ تنظرون ) كيف استغنى بالتبوين  
 في آخر ( حينئذ ) عن ( إذا بلغت الروح الخلقة )

ذلك هو النحت وضح كونه سببا في زيادة الكامة عن مقطع واحد  
 بما يضمه له من بقايا كلمات . ووضح به يبعد اللفظ عن مناسبه الباطنية

لمعناه الأول بما ضمه من آثار ألفاظ أجنبية عن المعنى الأول . وتنبه  
 في كل كلمة من الكلمات العربية مركب يشق لأنها دونت بعد  
 استكمالها ونماها . بينما هو سهل في اللغات الإيطالية والإسبانية  
 وغيرهما من أبناء اللاتينية لأن الـ *am* اللاتينية لاتزال مروفة تدرس حتى  
 في الجامعة المصرية . كذلك هو سهل في الإنجليزية والألمانية لأن أمهما  
 الانجلوسكسونية لاتزال معلومة فيسهل تتبع كل كلمة وما تركبت منه  
 ثم هو أسهل وأقرب في اللغات الأولية البسيطة التركيب . فذلك تشف  
 مما ورائها . تركيبها دان وتحليلها . ففي لغات زنوج (غريبو) يستعملون  
 (يامكروري) اسما للغضب . وذلك الاسم تنظره فتنة لانه كلمة واحدة  
 من مبدأ تكوينه كما هو الان .. ولكن لتلك الكلمة تاريخ عجيب  
 يدفعنا الى التأمل في الحالة الجسمية أثناء الغضب . فانت ترى الانسان لشدة  
 حنقه ترتفع عظام صدره وتهبط . فهو لاء الزنوج لاحظوا تلك الحالة  
 الجسمية للغضب فسموا الغضب باسمها فقالوا أولا (أه يامو كراوودي)  
 وترجمتها قبل أن يشذب أطرافها النحت ( ارتفعت عظام صدره ) فقطع  
 أوصالها . حتى تكسرت اجنحتها وأصبحت كمود الخلال . عدا الابدال  
 على الدال فجعلها راء وانفرد النحت بالباقي .. وقبائل (جزيرة فا كوفر) يسمون  
 الرجل الافرنجي (يكبوس) ولتلك التسمية تاريخ أشد ظرفا من اختها

السابقة . فبينما أهل هذه الجزيرة آمنون في سربهم . متصمون بأموالهم  
اذطلع عليهم من البحر رجل افرنجي له حية طويلة . فنظر بعضهم الى  
بعض ثم انصرفوا عنه قائلين (يكبي كوكسال كوس) بمعنى رجل طويل شعر  
الوجه . غير أن جبار الالفاط لازال يهذب من حواشيها . ويقتطف من  
أطرافها . حتى أصبحت كما ترى . ثم هو عامل طبيعي يجري على اللسان . لم  
ترد أن تنطق به .. وتكتسح الناس أمواجه دون قصد أو اختيار . ولو أنك  
تسمعت أحاديث الناس وهم يسرعون في كلامهم فما أظنك تسمع الفاظا  
كاملة . وإنما الذي يطرق أذنيك أنصاف الكلمات وأرباعها ومجرى الحديث  
يعين لك اتجاهه . سمعت مرة رجلا ينادي آخر اسمه (عبد العزيز) وهو  
يسرع في لهجته فنطق (عبد العزيز) وأكل الدال والألف واللام . فعلمت أن  
النحت طبعي عزيزي . وأن مثله مع الأساليب وأجل كمثل الكتابة بدأت  
صورا الأشياء كاملة فانتقصت أطرافها السرعة والاختصار حتى أصبحت  
رموزا أخرى لا تمت إلى أصلها التمثيلي بصلة أو نسب . وهام الناس في العصر  
الحديث تدفعهم السرعة وضيق الزمن إلى نحت الكتابة فكان الاختزال  
وبه بساوق الكاتب أسرع الخطباء تدويننا وتعبيرا .

ومن غرائب النحت أنه يدعو على الكلمات كثيرة الاستعمال فينشت  
فيها أظفاره . ولا يدور بكثرة على اللسان إلا أهم من الكلمات . فكانه



يختار الزم الكلمات وأحبها للانسان يغير من أوضاعها . ويباعد الصلة  
بينها وبين مناسبتها الطبيعية للمعنى . ويجعلها في أعجاز ماسبقها من  
الكلمات فتتضخم وتزيد عن المقطع الواحد  
(خلاصة ماسبق)

مكثت اللغة عهدا طويلا أبان بزوغها اشارية لاسبيل فيها للتفاهم  
اللفظ . ولما أن درج الانسان في معارج الرقي وتركبت معانيه . واضطر  
أن يتحدث عن البعيد عنه الذي لا تمكن الإشارة اليه . وقد يريد أن  
يتفاهم مع أخيه في الليل فتحول الظلمات دون رؤية الإشارة فراح ينادي بمتقل  
الى حكاية صوت ما يريد الحديث عنه أو صوت ما يشبهه فكانت لغة أولية  
تركب مفرداتها من مقطع واحد لكل كلمة منها . ثم سار الانسان قدما في  
طريق الحضارة والاجتماع وضاعت المقاطع الواحدة عن القيام بكل  
أغراضه فزاد فيها بضم كلمات أخرى اليها . أو حروف من عنده . ولا  
زالت أمطار الرقي من النحت والابدال والتجوز تبيل تراها حتى بسقت  
أغصانها وفروعها . واصبحت مئات الآلاف من الكلمات . ولو تتبعنا  
الافنان الدقيقة فما اتصل بها من أغصان أكبر منها فالفروع الضخمة  
ثم الساق فالجذر لا مكنتنا أن نرد كل عشيرة من الألفاظ لجذر واحد  
خاص

(فكتور كوزان ينفي هذا الرأي وجواب اعتراضه )  
 مارأينا أحدا من علماء اللغة العربية يعترض المناسبة بين الالفاظ  
 والمعاني . . ولقد حدثناك برواية السيوطي أن علماء اللغة والعربية  
 يكادون يطبقون عليها . وحق لهم ذلك فاللغة العربية ترى المناسبة في  
 جمهرة الفاظها كأنها الحان موسيقية متتالية . تكاد تلمس ذلك الاخاء  
 الرقيق بين اللفظ والمعنى في أعطاف كل نعمة من أنعمها . وفي ثنايا كل نبرة  
 من نبراتها . بعكس اللغات الراقية كلما أوغلن في الرقي يخافن عن  
 الطبيعة وعن محاكاتها فرأينا ( فكتور كوزان في كتابه محاضرات في  
 تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر ) ينكر تلك المناسبة ويورد لفظين هما  
 (أنا ويكون) ويسأل القراء أن يردوها الي اصلهما الدال على ماهو واقع  
 تحت الحس ورأى أنهما ليستا قابلتين لردهما الى عناصر أولية . . وما بي  
 أن أرد عليه بأكثر من طبيعة الانسان وطبيعة التفهيم وذلك ما أوصحناه  
 في الابواب السابقة . غير أني ألفت نظره لاسباب مهمة تبعد اللفظ  
 عن مناسبته لمعناه . وتخيل اليه أن ليس بينه وبين معناه الاصل من صلة  
 أو نسب . أهم تلك الاسباب المجاز والابدال . والنعت وهي  
 عوامل طبيعية يفساق المرء في سبيلها دون قصد أو تكلف . فحيث  
 ترى كلمة تنكرت لمعناها فثق أنها مستعمارة غريبة عن موطنها الاصل

أو أن النحت أنتقص منها أوزاد فيها بما ضم من أشلاء كلمات أخرى  
أو أن الابدال غير من سحتها . وحوار من هيتها . وقد حدثناك  
عن النحت حين الحديث عن تركيب الكلمة من مقطع واحد باعتبار أنه  
أهم الأسباب في زيادة الكلمة عنه . وبنا الآن أن نتحدث عن المجاز  
والابدال نبين أثرهما في إبعاد المناسبة وأثرهما في اللغة

﴿ المجاز وأثره في إبعاد المناسبة بين اللفظ والمعنى وبيان قانون ﴾

(تعرف به الكلمة الأصلية من غيرها وأمثلة من لغات شتى)

زعيم تلك العوامل التي لم تنج من عدوانه كلمة . ولم تهرأ من  
سطوته لفظة المجاز (ونريد به مطلق النقل)

ولقد أعلننا فيما سبق أن حرباً شعواء ستنشب بيننا وبين هذا المجاز  
دفاعاً عن كلمات استلبها من أماكنها . وألفاظ شردها عن مواطنها  
ففقدت ذلك الإخاء الطلي بينها وبين مدلولاتها الأولى ~~لكن~~ المجاز  
وما قدمه للغة من خدمات . وللألفاظ من نعم يجعلنا  
نلوح له بفصن الزيتون ونشيد بذكره . ونبين ماله على الألفاظ واللغة  
من أباديضاء . فلنتصور أن اللغة كانت قاصرة على المحسوسات لاتعدوها وأن  
اللفظ كان لا يدل إلا على معناه الأصلي لنعلم أن اللغة أبان ذلك كانت محصورة .  
وان عدد الكلمات فيها قليل ومعجم الألفاظ ضيق لا يكون لغة كلغة العربية

هي في طبيعة لغات العالمين فسوف نأخذ لابد من التجوز والنقل حتى نكثر  
 الالفاظ وتزداد المفردات . فالمفرد الذي كان يبدل على معنى واحد أصبح  
 يبدل على عشرات بل مئات من المعاني بعد تحويل بسيط في لفظه . أو  
 دون تحويل بالمرة . وبذا كثرت مفردات اللغة . وبسقت أغصانها وفروعها  
 وتلك هي نعمة المجاز عليها وعلى المفردات . فكيف ننكر فضله ؟ أو نعلن  
 الحرب عليه ؟

لقد كان الناس إذا من لهم ما لا يعرفون له أسما لجأوا الى المجاز فأخذوا  
 كلمة من ناحية ودلوا بها على ذلك المعنى الجديد يتخذون العلاقة جسراً  
 يعبرون عليه من معناه الأول الى معناه الثاني . وقد يعبرون به فيقولونه  
 من معنى الى معنى عشرات المرات فاذا بتلك الكلمة الواحدة عشرات  
 الكلمات ومثاتها ( والعلاقة ) كثير عديدها متنوع أسبابها . فقد يشرده  
 اللفظ عن معناه الأصلي الى معنى آخر لانه أشبهه أو ينشأ عنه أو يجاوره  
 أو يتأخى معه في الذهن ابان التفكير ولو كان ضده وعلى العكس منه  
 لتلك تكون مهمة الباحث وعرة المسالك . وطريقه متشعب الاطراف  
 اذا أراد أن يرد الكلمة الى أصل يناسب المعنى ريتأخى معه . ولم يكن  
 التجوز شأن الناس ابان فجر الأنساية فحسب . بل هو في كل عصر وفي  
 كل أمة . ريتنا في حديثنا ومحاوراتنا . فرب أني رأيت شيئاً ولم أستطع

التمييز منه . أو أن من أحدث إليه لم يفهم على ما أقوله .. ألسنت ترى معنى  
أن أبدأ إلى التشبيه ثم المجاز أو ضح غرضي . أئين مرادى ؟ ذلك ما نحسنه  
من أنفسنا كل ساعة وهو طبعي في الإنسان في جميع طبقاته .. يذكرني  
حديث المجاز وأنه طبعي برأى زار عاصمة جبهته المناظر بما لا عهد له  
به .. رأى السيارة في طريقه ولم يكن يعرفها من قبل ثم ذهب إلى حديقة  
الحيوانات فرأى الزراف والفرس والضبغ من السمايين .. ثم عاد إلى  
أخوان القرية يحدتهم بما رأى فجاء في ثيابا حديثه أنه رأى سيارة تهب  
الأرض في سيرها وحدها دون خيل تقودها كأنها ( قطعة من سحاب )  
وغزلانها كأنها ( العزى ) وزرافة كأنها ( نجار ) وبعيداناً ( كسهم الساقية )  
وهكذا تراه تلك السبيل الطبيعية في تصوير المسمى بالتشبيه الذي حدثنا  
عنه علماء التربية بأنه أهم وسائل الأيضاح . والتشبيه عملية تتطلب ذكر  
المشبه والمشبه به والأداة . ووجه التشبه في أغلب الأحيان .  
وللتأمل مدفوعون إلى حب الاختصار والاقتصاد فيحدوا بهم  
ذلك كله إلى حذف كل تلك الأركان والبقاء على المشبه به وحده . فبدلاً  
من أن يشاءوا فعكس سبيل ألف والدوران فيقولون رأيت فتاة كأنها  
الشمس حسناً وبهاء تتحرك ألسنتهم بتلك الكلمة البسيطة ( رأيت شمساً )  
وذلك هو المجاز . واليه ينتهي التشبيه ويضع رجليه . . وكذلك كان

الإنسان في عصره الأول إذ لم تسمعفه لغته . ولم نمذه بلفظ يتفكس  
على جنوثة المعنى تراء ، ينشاق للتشبيه فالمجاز . وهناك تفتقل الكلمة  
للمعنى الجديد ثم تستمرى ذلك المرعى . وقد يكون أخصب من المعنى  
الأول بكثرته دورانه على اللسان فيه يصبح أحب إليها فتستمسك به . وهو  
بدوره يستمسك بها . حتى إذا طأ عليها الأمد . وبعد وضع اليد للمدة  
الطويلة تصبح هي المالك له حقيقة لا مجازاً . والدالة عليه بالاستخفاف  
لا عن طريق الاستمارة والاقتراض وتنتهي ما كانت بينهما وبين المعنى  
الأول من علاقة وصلة . وذلك على المعنى الثاني ولم تكن تعرفه من  
قبل بل سافرت إليه من مكان سحيق : وما دامت غيبة من موطنها  
فليس يبعد ألا يكون بينهما وبينه مناسبة أو ملازمة طبيعية

ونحن إذا علمنا أن اللفظ يسكن المعنى ثم ينتقل عنه إلى غيره : وأنه  
قد يمتد عشرات المرات . وأن الكلمة الواحدة قد تتولد عنها عشرة  
أو قبيلة من الكلمات فتتقل إلى المعاني الكثيرة فتترك في كل واحد  
منها طلبها وميتشها . وأن اللفظية الساحقة هي الكلمات خضعت  
لشيطان المجاز وطاوعته في الهجرة والاستفزاز إنما نعلم أمراً جزئياً في  
كل لغة واحداً كل مادة من مواد القاموس . وقد نستطيع أن نرد كلمات  
المادة الواحدة أو المواد إلى أم نسان منها جميعاً .

ففي اللغة العربية حينما نظرت في القاموس بصرت بما أحدثك عنه .  
وقد يظهر ذلك النسب وقد يخفى في كثير من الأحيان لا أننا لا نستطيع  
أن نعرف تاريخ كل كلمة وما أنتابها من هجرة وأسفار خصوصاً في لغتنا  
العربية التي لم تصل إلينا إلا بعد أن اكتمل نموها . وزها جلالها . ثم هو  
مرتبط الى أقصى حد بعقلية كل أمة وعوائدها وطرق تفكيرها . وأني  
لنأعرف ذلك عن طريق اليقين في كل هاتيك المصور العريقة في القدم ؟  
وبنا أن نبعث في قواميس اللغات وننظر أى مادة تنفرج عنها  
الصفحات دون قصد لمادة معينة ونحن على ثقة من أنا سنجد في أى  
مادة ترابطاً بين مفرداتها مما يدل على أنها كانت في الأصل واحدة ثم  
سقطت قطرات التجوز والنقل فأصبحت كلمات متعددة . وأن الأصل  
فيها بذرة واحدة تفرع عنها ما يقاربها من المفردات

ونريد أن الآن أن نعرف ذلك المصباح الذي نكتشف على ضوءه أصالة  
الكلمة من فرعيتها . والسبيل الذي نسلكه لنهتدى به الى اكتشاف الام  
من بناتها . وسبيل ذلك وعمر مسلكه غير أننا نحاول أن نعطي للقارىء شيئاً  
من القانون يقرب له ذلك السبيل الى حد بعيد . ولعل أهم تلك السبيل  
هو وجود الكلمة في عدة لغات وأقرب ما يكون ذلك في اللغات الشقيقات  
اللاتى يتفقن في كثير من المفردات . . ففي اللغة العربية لورأينا كلمة فيها وهي

في الوقت نفسه في العبرية أو السوربانية أو السكلدانية أو الاشورية أو البابلية . أو الحبشية أو الفينيقيه أو القرطاجنية وغيرهن وغيرهن من الشقيقات الساميات نعلم أنها يغلب أن تكون هي الام لكلمات المادة التي اشتركت معها ككلمات . أب . أخ . الله . اسم . حتى . واحد . اثنين . ثلاثة . فهي في العبرية على التوالي أب . آح . أيل . اسم . عد . إيجاد . اشناى . شلوشه كما هن في الاشورية أيضا على التوالي أبو : أخو . ايلو سوموا : أدى . انخيت . شاناي : شلوشت فوجود هاته الكلمات في تلك اللغات السامية دليل على قدمها وأنها اجتازت أما كن أخرى واستقرت فيها فتفرع عنها مفردات كثيرة كمنوع من أشكالها : وشعب من فروعها الاشتقاق صغيره وكبيره وأكبره : والذي ينصره تفكيرى أن الاشتقاق يرجع الى المجاز وهو جزء منه لاشيء آخر خلافه فالضارب والنائم : واللعب . لما كان كل منهم يقوم بالضرب واللعب والنوم مسميناه بما يقرب من هاته الكلمات (العلاقة السببية) : فحيث ترى كلمة اشتقت منها أخرى أو أن مثيلتها وجدت في اللغات السامية أو بعضها فاعلم أنها هي الاصل وما عداها فروعها :: غير أن ذلك بالنسبة للعربية : وبالنسبة للانجليزية فإن رأيت كلمة فيها وفي الالمانية أو الهولندية أو الدانمارقية أو غيرهن من بنات التيتونية الانجلوسكسونية فاعلم انها اصل لغيرها من



الكلمات : وان تكون الفرنسية فوجود كلمتها في الايطالية او الاسبانية او البورتغالية : غير هن من اللاتى نسلن من اللاتينية فرجح انها اصل لما نلها في الفرنسية من الكلمات :

وان رأيت كلمة في اللغات الاوربية والهندية وشقيقاتها الافغانية والفارسية فثق أنه جذر الجذور كما مدد اثنين فهو في الانجليزية توو في الفرنسية ديه. وفي الايطالية دوى وفي اللمانية سواى وفي الهندية السنسكريتية دو وفي الفارسية دو. وفي الافغانية دوا. فأنت ترى ذلك العدد في كل هاتيك اللغات واحد تقريبا غير أن الانجليزية أبدلت الدال تاء كما أبدلت تاء تربوت من دال دربوت واللمانية أبدلت تاء ابنة عمها الانجليزية سيمنا كما أبدلت في استخذ من اتخذ

كذلك المدد تسعة فهو في الهندية آت وفي الافغانية اتو وفي الفارسية هشت وفي الانجليزية إيت وفي اللمانية أخت. وكثير غير هذين العديدين من الكلمات اشتركت في اللغات الهندية الاربية IndoEuropean

بمساعدة المستربوب Bopp العالم الالماني على اكتشاف القرابة بين تلك اللغات الاربية وما يدل على أن الاووبيين نزحوا اليها من أواسط آسيا وتلك الفائدة التاريخية هي إحدى فوائد علم اللغات

La.Philologie وستحدث بأسهاب عن المقارنة بين هاتيك اللغات في كتاب لنا بين يدي الطباعة اسمه (تناسل اللغات . وأسباب اختلافها)

من تلك الصورة الرائعة التي عرضناها أمام القارىء . يتبين أن وجود الكلمة في عدة لغات دليل على أصلها . ودليل آخر هو دلالة الكلمة على معنى حسي . فحيث ترى المعنى حسياً فراجع أنه أصل الكلمة أخرى من مادتها دلالتها معنوية . لأن الناس عرفوا الحسيات قبل المعنويات . كذلك ما أثبت التاريخ معرفته قبل غيره . يترجح أنه أصل له . كل هاته أدلة على أن من الكلمات ماهي أصول ومنها ماهي فروع . وأنه لولا المجاز ما كثر عديدها . ولانمت أفرادها . تشهد بذلك قواميس اللغات تقرأ في خلال كل مادة من موادها أن أحد مفرداتها هو بذرة لما عدها . وأمامي الآن قواميس من اللغات العربية والفرنسية والانجليزية . وسأبدأ بقاموس المحيط في اللغة العربية . وها أنا قد افتتحته كما يفتح من يريد أخذ الاستخارة من الكتاب يقرأ ما تيسره الصدفة له . ويطبقه على نفسه فأذابي مادة (أمة) بمعنى قصده ذكر فيها الفيروز ابادي عشرات من الكلمات . فذكر (الائم) وتحدث عن (الأميمة) بمعنى مطرقة الحداد . وحجر يشدخ الروس . ثم تحدث عن (الائمام) وأنه يطلق على الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم . وعلى الدليل والهادي . كما ذكر (الائمة) وأنها تدل على الشريعة والدين والنعمة وغضارة العيش . فحدثني بربك . أأست ترى أن معنى القصد يفشر لواءه على كل هاتيك المفردات . فالشريعة والدين والنعمة أمور يقصدها الناس . وذاك الحجر الذي يشدخ الرأس لما كان بهوى عليها ويقصدها بالأذى سميناها (أميمة) وأن مطرقة الحداد لما كانت تفعل بالحديد ما يفعله الحجر بالروس سميت باسمه . وارتباط بقية المادة بأصلها . لا يمتري ثم . نشأة اللغات

عاقِل فيه. ونريد الآن أن نعرف أي هاته الكلمات أصل وأيها فرع؟ فعلى ضوء القانون السابق الذي نعرف به الأصل في كلمات المادة من وجودها في اللغات السامية بالنسبة للساميات أو أنه يدل على المحسوسات نرى أن كلمة (الأم) هي الأصل. فقد رأيناها توجد في كل لغة فضلا عن الساميات. على أن لفظ (الأم) نفسه منقول عن حكاية مضغ الطعام (العلاقة السببية) فهي مصدره في عهد الطفولة وفجر الحياة... وأود أن أوجه نظرك إلى أن صاحب القاموس رتب مادته حيثما اتفق و كما رجته الصدفة... وكان حرياً به أن يرتبها بحسب الأصالة والعرقية. لكن أني له تعرف ذلك وهو أعسر مطلب يتطلب تعرف تاريخ كل كلمة من يوم أن كانت في أحضان أمها السامية الأولى وذلك ما لا يكاد يظفر به انسان... تلك نظرة منافي القاموس العربي وستبعتها نظرة في القاموس الانجليزي وإن تعتمد مادة خاصة كالم تعتمد ذلك في سابقه. وساغمض عيني وأضع اصبعي على أية مادة تلامس، وها أنا ذا قد فعلت. فكنت أمام كلمة Bow باو: بمعنى انحنى ويتلوهاته الكلمة كلمات Bow باو بمعنى الانحناء وباولدر Bowlber اسم لنوع من الصخور كرى الشكل و Bowls باولز اسم للألعاب Bower وبور اسم للمظلة و Bowsprit بوسبريت اسم لمقدم السفينة Bowman بومن اسم للرامي بالقوس Bowl باول اسم للكأس فتأمل ذلك الما ظ المدال على الانحناء كيف سميت به ذلك النوع من الصخور التي تنحني جوانبها فترسم كرة تتلوي خطوطها فلا تستقيم. تأمل انحناءها لتعلم أنه سبب في اطلاق هذا الاسم عليها ثم انظر الى الأمعاء كيف تعرجت والتوت كي تمثل لك كتلة من الاحبال في صندوق وبذلك استحققت أن يطلق اسم الانحناء عليها. ولاتنس انحناء مقدم السفينة وتحدب حيزومها الذي يشق عباب الماء كما تشق يد الصبي تراباً يعث في

نواحيه لتعلم أن انحناه سبب في اطلاق هذا الاسم عليه . وان اتخذت المظلة  
مخنا من الأمطار وانفتح الهجير وانحنت عليك تقيك بنفسها أعاصير الطبيعة . فتأمل  
انحناءها وتذكر أن الانجليز اشتقوا لها من الانحناء اسما . بينما العرب لاحظوا  
فيها ظلها فسموها مظلة . واتحى الفرنسيون نحوهم فاشتقوا لها من الظل اسما

فالمظلة في الفرنسية Ombrelle أمبرل مستقاة من Ombre

أومبر بمعنى ظل . والمظلة تمت الى الظل بنسب وللانحناء بصلة نظرت كل امة  
لناحية فسمتها باسمها . ثم نعود الى الكاس لالتطرب لروقه . وانما لتتظردورانه  
وانحناءه لتعلم ان ذلك سبب في اطلاق اسم الانحناء عليه في لغة الانجليز . . . . . ولسم  
وددت أن أذهب الى الغابات والاحراج لعلى أرى بعض أهلها يروعون غزلانها  
وطيورها بما يسددون من سهام يرسلونها من أقواسهم المنحنية وهم ينحنون عليها حين  
إرسالها لارى بالعين ذلك السبب في اطلاق اسم الانحناء على الرامى بالقوس  
تأمل ذلك كلاء لتستبين سبيل الصواب في أنه لولا المجاز وفروعه لضاعت بنا  
اللغة . وصغرت القواميس . ودونك مثلا من القاموس الفرنسى أتاحته المصادفة  
وتكشف عنه حين اهراج دفتيه . وما أن انظر فى أدل سطر تقع عليه العين  
حتى أرى كلمة Nabot نابواسم للزورق ولقد كانت هاته الكلمة قاطرة  
تجر خلفها عديدا من اخوانها فى اللفظ وأن تفاوتن عنها فى المعنى اللهم الاصلة  
قد تقرب حيناً وقد تبعد أحيانا . وتلك الصلة فى حالتى البعد والقرب كانت الجسر  
الذى عبرت عليه الكلمة حتى استقرت فى المعنى الثانى . تلسم الكلمات من  
Nacre ناكر اسم لما يلمع فى جوف الأصداف وNacrer ناكره  
بمعنى جعل الشئ لامعا وNager ناجيه بمعنى سبج فى الماء وNageoire

ناجوار اسم لجناح السمكة. و Nageur ناجير بمعنى سباح. و Nailde  
 نباد اسم لعروس الماء و Nain نا بمعنى تنبال خامل - ألس ترى أن  
 الماء يرق لامعا في كل هاتيك المفردات . وأنها ذات قرابة وأرحام نسلت من  
 كلمة واحدة وتفرعت عن جذر واحد أكبر الظن أنه Na نا . أضيف  
 اليه Bot بو فكان اسما للزورق . و Geur جير فكان اسما  
 للسباح في الماء . و Iade ياد فكان اسما لعروس الماء . و Geoire  
 جوار فكان اسما لزعنف السمكة . وتأمل تلك الطرافة الرائعة في تسمية التنبال  
 الخامل بكلمة Nain لأنه أشبه الزعانف فأخذ جزءا من اسمها . كما  
 نتحدث في العربية عن زعانف القوم بمعنى أنهم خاملوهم ومستردلوهم . وما كان  
 ذلك للناس عجبا أن يروا العرب والفرنسيين يسمون الخامل بالزعنفه فعدم  
 الفائدة في كليهما قرب الشبه بينهما فجعل احدهما تأخذا اسم الاخرى  
 وقانون توارد الخواطر وسبيل تداعي المعاني في الناس جميعهم واحد . والمعاني  
 واحدة في كل لغة من لغات العالمين . تتقارب في الذهن بأى صلة من صلات  
 ذلك القانون وحينما يدور في خلد المرء معنى يعجز عنه لسانه يخطر في نفسه  
 لفظ المعنى الآخر القريب منه فينطق به مريدا التشبيه . ثم يصير التشبيه مجازا  
 ثم يصبح المجاز حقيقة ويدل على معنى لم يكن وضع له من قبل . فلا تعجب أن  
 تتواري عنك المناسبة بين اللفظ والمعنى في بعض الاحايين ولا تذهب الى ما ذهب  
 اليه ( فيكتور كوزان ) من إنكار المناسبة بالمرء

﴿الأبدال وأثره في أبعاد اللفظ عن مناسبه لمعناه﴾

﴿والحرب بين الحروف. وأثر المرأة في الأبدال وفي اللغة﴾

حرب طاحنة تقوم بين الحروف يشهرها بعضها على بعض فيحتل الحرف دار أخيه . ويتدفع بكل ما أوتيته من قوة . وما وهبته المصادفة من وسائل غير راحم ضعف أخيه . ولا محتفظ له بحرمة جوار : ولا مكثرت لمعنى كان أخاه يناسبه حتي اذا اغتصب منه داره واحتلها لم يعد هو يناسب ذلك المعنى أو يتلاءم وإياه

حرب معداتها ضعف سمع الإنسان . وتكسر أسنانه . وارتخاء في عضلات لسانه . ورقة أو خشونة قد يتسم بها في بعض الأحيان . ثم بيئة لينه نهيء له رفته . وأخرى خشنة تدفعه الى خشونة في أنغام حروفه وأجراسها تلك معدات الحرب الحرفية . وهي جماع أسباب الأبدال

فقد يضعف سمع المرء ولا تتأثر أعصاب أذنيه بالموجات الهوائية وهي يحمل اليهما نغمات الحروف . فتصل الى مخه مشوهة . وترسم فيه مشوهة فينطق بها محرفة عن مواضعها

وقد يضعف لسانه أو يفقد ثنياه فلا يستطيع نطق الحرف من مكانه ويبدله بحرف آخر قد يقرب منه وقد يبعد عنه . . وقد ينعفس في ترفه وليته فيرقق الحروف الضخمة شيئاً فشيئاً حتى تحل مكانها الحروف اخرى أرق منها وقد يتبدى المرء وتحشن طباعه فيخيل اليه أن الحرف الرقيق شارة اللين والدعة فلا يزال به يفتحمه حتي يتبدل به حرفاً آخر . وهنا تطل برأسها غريزة التقليد الطبيعية في نفس كل انسان فتذيع عن الناطق حروفه المبدلة ويتلقفها الناس

و يستعملونها فتفقد كلماتهم مناسبتها للمعاني وحسبك أن ينطق بها (زعيم أو رئيس) فتسري في الفاظهم كما يسري البرق حول الكرة الأرضية في ثوان معددات فذلكم سعد زغلول باشا وقد كان رحمه الله يكاد ينطق (القاف) كافاً : وما هي إلا أن نطق بها في خطبه وأحاديثه حتى سرت في ألسان الكثرين واستعملتها جمهرة من عظماء الأمة وكبارها . وسنشاهد تلك الحرب الطاحنة تدور رحاها بين الحروف الهجائية في بيئتنا المصرية وتبين كيف أن المترفين من المصريين مالوا بالحروف الضخمة نحو الرقة والسهولة وكيف انحاز القرويون وأهل البادية منهم نحو الحروف التي تملأ الفم وتتطلب إجهاداً للرئة والحنجرة فاتخذوها قبلتهم وألقوا بها كل حرف لأن قوامه . ورق جسمه . وهنا أرى الأمثلة تحيط بي من جميع الجوانب فأنتقي منها وأنتخب أكثرها تأثيراً بأمواج الابدال وأضعفها . مقاومة لتياره فتظهر لي حروف القاف والياء والجيم والراء والياء وكثير غيرها غير إلى سأقصر حديثي على هاته الحروف وحدها لتكون نموذجاً غيرها . . . وامل من الطريف أن أبدأ (بالقاف) فأعجب لأفواه سكان القاهرة والخواضر المصرية كيف ضعفت عن النطق بها فصيحة تنبع من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى فأثوا بالهمزة من مكان صحيح وأحلوها ديارها واستعاضوا عن (اقعد) بـ (أأعد) وحرفوا (قل) إلى (أل) وكافى بالبدو وأهل القرى حسبوا ذلك لنا ورقة فخالقوا الحضر في همزتهم ولم يرتضوا الفصحى فاستبدلوا القاف بحرف غريب عن اللغة وأوضاعها يتوسط القاف والـ كاف ويثبت بين مكانيهما . . فتحولوا (بأقعد وقل) إلى (اكعد وكل) ثم تعصب كل فريق لحرفه . . . فأن انسابت على لسانك القاف القروية أوسعتك عيون

الحضريين شزرا . . وان نطقت القاف همزية حضرية بين البد ونجافت عنك جنوبهم .  
وأثنت عنك أعطافهم

بذكرني بحث القاف وترنحها بين الهمزة تارة وبين الكاف تارة أخرى  
بأيام الطفولة يوم أن كنا في المكتب نحفظ القرآن الكريم فاجتمعنا نحن  
صبيان المكتب في ساعة غاب عنا فيها الفقيه وتجادبنا أطراف الحديث الذي  
كان يدور في بعض الأحايين على الألعاب وأنواعها وعلى الاستحمام في النهرات  
الصغيرة المحيطة بالقرية ثم على السور التي يعالج كل طفل حفظها . . فسئلت بدوري  
من صبي أعمى في أى سورة أنت ؟ فأجبت في سورة سبأ فامتعض من جوابي  
ثم قال أنها ( سبج ) لا سبأ ثم اشتد بنا أوار الحوار والجدل وتمسك  
كل منا بوجهة نظره ففتحنا كتنا الى العريف فحكم بأنها ( سبج ) لا سبأ . وبأن  
الهمز حرف حضري يحمل بأبناء القرية أن يجعلوه دبر آذانهم . وانضم بقية صبيان  
المكتب الى الأعمى والعريف وأخذوا الأصوات ضدى بالاجماع . فاعجب لذلك  
التعصب الطبيعي للحروف المبدلة وتأمل ذلك المارض الذي أصاب (القاف) منذ أحقاب  
طويلة حتى رأينا ابن خلدون يشكو لها ذلك الداء القديم فيقول ما ملخصه (ومما وقع في لغة  
هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شانهم في النطق بالقاف فانهم  
لا ينطقون بها كما هو مذكور في كتب العرب أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك  
الأعلى بل يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف . وهي موجودة للجميع أجمع حيث  
كانوا من شرق أو غرب )

وبعد سطور قليلة قال ( ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد  
ادعى ذلك بعض فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في صلاته اهدنا  
انصراط المستقيم بغير القاف التي اهدا الجيل تفسد صلاته ) ثم لم يأنس لذلك



الرأى بل رد عليه بان القاف الفصحى وهي لغة الأمصار فى عهده وهم قد تواروها منذ عهد بعيد . وقد حدثنا قبل ذلك بأسطر قلائل ان القاف المحرفة يظهر انها لغة مضر الأولين . فها أنت ذا ترى ابن خلدون وهو أكبر المفكرين فى عصره يضطرب بشأن تلك القاف ولا يأتى برأى قاطع . . ونحن لا نخالج نفوسنا أية ريبة فى أن القاف الفصحى هى التى نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم . وأن فتوى ذلك الفقيه أو كذب الفتاوى : فان اللغة طريقها السماع قبل كل شيء . والكتابة مهما بلغت أقصى درجات سموها فى أى أمة من الأمم لن تستطيع أن تصور اللهجات كما هى بأجرامها وأنغامها : وقد تواتر القراء والمحدثون وهم آلاف الألوف منذ أن بزغت شمس النبوة إلى ذلك العهد وهم يلقن بعضهم بعضاً سماعاً ومشاهدة تلك القاف الفصحى نقلاً عن الرسول الأكبر صلى الله عليه وسلم . . ولم نر شعباً من شعوب الأرض يذل أقصى جهده فى المحافظة على ألفاظ أنبيائه معشار ما يذل المسلمون من الجهود فى المحافظة على ألفاظ القرآن وكلمات الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفاجئنا أحد عنه بتلك القاف المحرفة حتى ولا من الخوارج أو الروافض . إن هو إلا أفك افتراه ذلك الفقيه ولم يعنه عليه أحد بل جاء بيهتان وزور . ولكنها القاف لم تعد نصيراً فى التحريف كما كان ( للجيم ) انحرافاً أنصاراً من البدو الجافى الطباع يحرفونها لما يقرب من ( الشين ) فتوشك أن تكون كحرف جيه الأفرنجى . . وآخرون من الحضرة يلبسونها ثياباً من الرقة واللين ويدفعون بها إلى أعلى التمه قليلاً فتبائل الحرف G الأفرنجى أيضاً :

ولا تنس الثاء تدرع بتكسر الأسنان فتعلن الحرب على السين وتحتل مكانها فى منطق الأثرم . . أعجب للراء كيف نقلت فى بعض الأحايين إلى

( الفين ) وكان سلاحها في اغتصاب موطن ( الراء ) أنها الراء الباريسية :  
ونحن مفتونون بباريس وما تصدره إلينا من أزياء وحروف . ثم ارتدت  
( الراء ) ثياب اللام فاخلت لها مكانها . ونحوت إليها في أفواه العمال ( وأبناء  
البلد ) من سكان القاهرة تقليداً منهم لبعض المهاجرين إليهم من صعيد مصر  
الذين ظهروا بينهم بقوة الاجسام فكانوا مثلاً جديراً بالمحاكاة . فتأمل ذلك .  
ثم ارجع البصر كرتين الى ( التاء ) وتسمعها في فم الأوانس والغيد المترفات .  
ومن أملى عليهن الدلال أن يحرفن الحروف عن مواضعها لتشف سمعك بتاء  
لازالت الرقة تهذب من حواشيتها حتى قاربت أن تكون ( سينا ) . أما أنا  
فعلى ثقة من أن تلك التاء ستبدل سينا على مر الأيام . فان أوانس اليوم هن  
أمهات الغد . والام تبت في طفلها لهبتها : وقد ذهب علماء اللغة  
Les Philologues الى أن المرأة لها أكبر الآثار في تحريف الكلمات وهي  
التي اخترعت اللغة . وعنها تناقلتها الذكرا من العالمين .

فلقد كان الذكور يذهبون الى الغابات والأحراج . ومساقط الماء . وإلى  
منعطفات الوديان سعياً وراء الرزق . وتطلبوا لمعيش هي أسباب الحياة . بينما  
تجلس النساء مصطليات حول نار ترسل دفئا ينبعث تياره في أجسامهن .  
والحرارة كما يقول ابن خلدون تبعث السرور في النفس مبرهنا على ذلك بالسرور  
الذي يحس به الجائهم في الحمام يشتد به الطرب حتى تتحرك أوتار صوته  
صدحا وغناء . . .

تجلس النساء حلقات حول النار ويتجاذبن أطراف الحديث من كل ناحية  
يتحدثن عن ذكورهن وشجاعتهم . وقوة سواعدهم . ودفاعهم عن القبيلة .  
ثم يتحدثن عن أنفسهن وعما يتحلين به من الأصداف والودع . وقد تبدر من

أحد من كلمة يطربن لها فيقال إنها بصدور رحة وينطقن بها حتى إذا عاد  
أبناءؤ من وآباءؤهن وأزواجهن سمعوا من أفواههن ما تنطقن عليه من  
الاصطلاحات والعبارات فيقتفون سبيلهن . واللغة حوار بين اثنين أو جماعة وهي  
أن تكون الا حيث الاجتماع والايناس - ولنتبين أى الفريقين أشد حبا  
للاناس والاجتماع . وأكثر فترة من الاستيحاش والفراق انعلم أن أكثر  
الفريقين أنسا وحبا للاجتماع هو الذى سبق أخاه فى اختراع اللغة . والسير  
فى سبيلها . ومن البدايه بالمكان الاول أن المرأة آنس من الرجل فكانت هى  
البادئة باللغة . وأخرى هي أن المرأة أطلق لسانا . وأسرع منطقا من الرجل  
رغم احتجابها فى المنزل وابتعادها عما يشير العواطف ويحفز للكلام .  
ولن تفرع الرجل فى منطقها الا باستعداد للكلام هو أقوى فيها من الرجل فيحدوا  
بها استعدادها الى أسبقيتها . وقوة تأثيرها . ذلك ما تشهد به طلبة الأذن التى طالما  
سمعت إسهاب الحماة . وثرثرة العجوز : ولوشئنا أن نعد ما ينطق به الرجل فى يومه  
الطويل وقارناه بما تتحدث به المرأة فى ساعة واحدة لعلمنا أن ساعة المرأة  
أملأ بالحديث من يوم الرجل مهما حاولت شمسها ألا تغيب . . فالرجل له من  
عمله ما يشغله عن الحديث والثرثرة بينما فرغت المرأة من العمل فعمدت الى الكلام  
تقتل به الوقت . طبيعة فيه أودعت جسمه عضلات قوية يستخدمها فى تعبيد  
سبيل الحياة . وطبيعة فى المرأة أضعفت من عضلاتها فالزمتها بيتها . وجعلتها تفنى  
وقتها بالحديث عن الجارات والصاحبات . وحيث يكثر الكلام تسك مفردات اللغة  
وتنجلي ألقاظها . وبذلك ننظر أثر المرأة فى اللغة وقوتها فيها . وما دامت قوة المرأة  
فى اللغة أمرا طبيعيا فلنتبين أثرها فى العامية المصرية . وهناك نعجب للدلال وتمزيقه  
أديم الفصحى ، بل أديم العامية أيضا . وتقطيعه أوصال كل أسلوب من أساليب

التغام البشرية حتى لا يكاد يسمع أحدا من فم هؤلاء النسوة كلمة تامة أبدا  
وانى لأخجل أن أسجل على صفحات هذا الكتاب كلمات مسخنها وصيرنها  
أعجوبة الأعاجيب . وما على القارىء الا أن يراجع ذاكرته . وما عسى أن يكون  
قد سمعه منهن ليتبين خطر أثرهن فى اللغات . لا جرم أن لغة الام هي الصورة  
التي تنطبع فى ذهن الطفل ابان عهد الغضارة . وتترك فيه أثرا تزيد الأيام ثباتا  
وقوة . ولا ننس أثر المرأة فى الرجل نفسه وما توحيه اليه من ألفاظ تنطق بها بحرفة  
تلقفها أذنه وتعلق بذاكرته فتنسب على لسانه دون وعي أو استذكار . وقد  
تنطق احدى المثلثات بكلمة ترسلها دعاية من فرق المسرح فأذابتك الكلمة  
شرق وغرب : وتسرى فى الشمال والجنوب . فيتحدث بها النساء فى خدورهن  
ثم تنتقل الى أطفالهن وأزواجهن . وبذا تتحرف اللغة وتشيع فيها اللهجات الفاسدة  
وسيكبر خطر المرأة ودلالها على اللغة مادامت العامية تنحدر فى طريقها الذى  
تتردى فيه . وتجرى فى تياره . وتجدها من الجرائد والتمثيل ما يذيعها ويضمن  
بقاءها وخلودها . ففي مصر جرائد هزلية تصدر باللغة العامية . والاسلوب  
الهزلى أعلق بالذهن . وأشد أثرا فى الإنسان من الأسلوب الجدى . فهو  
لذلك اشد خطراً على اللغة الفصحى من كل شىء آخر . تلبس النكتة ثوبا  
عاميا وتسكن شغاف القلب بما أبست وكأنها قنبلة تنطلق فى صدر الفصحى  
وأمامها منها صريعة . .

لذلك نتقدم بالعتاب الرقيق الأستاذ شفيق صاحب جريدة  
( المطرقة ) على أسلوبها الهزلى الملىء بالمفردات الإفرنجية . وثقتي به وهو  
الشاعر العربى والكاظم البليغ أن يقدر خطورة ذلك على الفصحى ( وهو  
لا شك مقدره ) فيرفع من أسلوب المطرقة الى درجة تقرب من الفصحى غير

عابت بنسكته الحلوة . فالنسكته يزداد جمالها اذا برزت في ثوبها  
الفصيح

. والى هنا يريد القلم أن يعجل بي فأكبح جماحه فيسألني أنضب معين  
الفكر أم أدخلت الى الراحة ؟

كلا يا براعى العزيز . لم ينضب معين الفكر ولم أدخل الى الراحة . فانت  
تعلم كم أتعبت شبائك . وكم زاملتك السهر حتى مطلع الشمس . ولكنك  
علم بالمذاكرة والدروس . والمواظبة والامتحان فلا أستودعك الله حتى  
أقوم بتلك الواجبات ثم أعود اليك بعد اجتياز عقبة الامتحان لنسطر معا  
مانسأل الله أن ترقى به اللغة العربية  
فالى اللقاء يا قلبى العزيز

## ﴿ الكلمة الأخيرة ﴾

الحمد لله أن كنت أزهر يا . فلولا تلك الجامعة الكبرى التي تهوى إليها أفئدة الناس فيحجون كعبتها من كل فج عميق لما استطعت أن أخط حرفاً واحداً في ذلك الكتاب ولا في أخيه (تناسل اللغات وأسباب اختلافها) . ولرهبته أن أفكر فيهما : فالأزهر يؤم رحابه الشامي والمغربي واليماني والهندي والجاوي والصيني ارتشافاً لكؤوس العلم . كما يخطر في جنباته إعجاباً بعظمته الجم الغفير من السائحين الانجليز والفرنسيين والأمريكيين . من كل أمه وبكل لغة . ولقد زاملت أثناء الدراسة كثيراً من هؤلاء الطوائف . وكنت أستمع اليهم إذ يتساملون . . وانصت اليهم إذ ينطقون فاعجب لآية الله في اختلاف الألسن فيحدوا إلى الإعجاب أن أقارن بينها وأفكر في الإنسان كيف افرقت أساليب التفاهم بينهم إلى ذلك الحد الكبير . وسقت غيوث الطريقة الأزهرية في التعليم ذات النقاش والجدل تلك الفكرة حتى نمت فروعها وأغصانها ولا زال ذلك التفكير يملأ على شعاب نفسي حتى صار رغبة ملحة أملت على ما أتقدم به الآن من الحديث عن نشأة اللغات . غير أني معترف بصعوبة ما أحاوله . فبحث كهد البحث يستغرق جهود الجماعات ويتطلب سياحة عالمية يصرفها الإنسان في بحث اللغات ومقارناتها . وإن كان الأزهر وهو دنيا مصغرة قد سهل لي سبيل البحث فإن الفكرة التي استنبطتها منه مصغرة . وحسبي أني قد وضعت لبنة في بناء اللغة أرجو من الشبان أن يضموا إليها لبنات حتى يتكامل بناؤها الشلمخ . .

ولقد علمت جفاف الأبحاث اللغوية فتعمدت سهولة الأسلوب حتى

أحببها إلى الشباب الناهض في وقت نحن احوج فيه للغة من كل وقت آخر .  
 وفي فجر الانسانية نادى افلاطون بان تصاغ الرياضة في اساليب شعرية حتى  
 تعمقها النفوس فتذفع بها . وقد نادى معه علماء التربية بسلك سبيل  
 التشويق في التعليم فعساي ان اكون قد وفتت فيما درجت عليه من اسلوب  
 وتفكير . . تفكير كان منبعه من غرسوا في نفسى حب البحث والتنقيب  
 أساتذتى الذين سعدت بارتشاف كؤوس علومهم ومعارفهم الاستاذ صالح  
 افندى هاشم وكيل كليتنا ( كلية اللغة العربية ) والحجة اللغوى الاستاذ  
 الأ كبر ( الشيخ علام سلامه ) ونصير اللغة العربية استاذى ( السباعي  
 افندى يومى ) والمثل الاعلى في التأليف استاذى ( محمود افندى مصطفى )  
 وصاحب اليد البيضاء على الثقافة العربية ( الشيخ سليمان نوار ) واستاذى  
 الجليل ( الشيخ امين سرور ) بتلك الكواكب المتألقة في سماء الادب العربى  
 اتقدم الى القراء فان راوا حسنة فيما فكرت فهم الذين غذوها بروحهم  
 وتعدوها بتثقيفهم . وان راوا سيئة فهمى منى ولا أعتذر عنها . وأرجو أن  
 ينتقدوها . فانها قضية اللغة . وليست قضية اللغة بما يقبل المعاذير . أسأل الله  
 أن يوفقنا لخدمة لغة قرآنه وأن يصل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

## ﴿ صحيفة المجهود ﴾

( ومؤلفات صاحب هذا الكتاب )

### المطبوع

- (١) ( طراز البيقونية ) في علم مصطلح الحديث تقرب به المؤلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب طلي . بعضه شعر و بعضه نثر
- (٢) ( نشأة اللغات ) وهو هذا يحدث عن نفسه

## ﴿ تحت الطبع ﴾

- (١) ( تناسل اللغات واسباب اختلافها ) يبحث في توالد اللغات ويبين فروعها . ويقارن بين عشرات منها شرقية وغربية سامية وآرية و طورانية بلغاتها . ويكشف في أسلوب روائي عن أثر البيئات واختلاف الاجواء والمدنيات في اختلاف اللغات . ونشرت شيئا من اجائه جريدة الضياء بتاريخ ٢٨ يونيه سنة ١٩٣١

- (٢) ( العبقرية وكيف تكون عبقرى ) كتاب يقع في ثلثائة صفحة أو مايقاربها ويبحث في العبقرين وما يؤدونه من خدمات للمجتمع . وبيان الرابطة بين حيوية الامة وما تنبته ارضها من العبقرين

- (٣) ( دلال الحبيب ) رواية ظاهرها غزل وباطنها عظة

- (٤) ( الدعوة الى الاسلام ) في هذا الكتاب أبان المؤلف للمسلمين عن الدعوة لدين الله . وكيف يقومون بها . ويدللون الصعاب التي تعترضها وقد اتى جزء منها محاضرة في جمعية الاخوان المسلمين . وكتب عنها فضيلة الشيخ على محفوظ في تاريخ ٦ - ٤ سنة ١٩٣٢ بانها ( كلمة قيمة



مفيدة يصرح لصاحبها بالقائها في نادى الجمعية )

(٥) ( كيف ترقى اللغة العربية ، ) ذكر المؤلف في هذا الكتاب الاسباب التى تسلك الامة العربية سبيلها لتنهض بلغتها من انتشار الجرائد والمجلات وكثرة المؤلفات العلمية التى تنفرد بها العربية . والمحافظة على القرآن الكريم وبيان انه لولا القرآن لحل باللغة العربية ما حل باللاتينية من الانشعاب الى الفرنسية والاسبانية والايطالية النخ والبرهنة على ان ترجمة القرآن أكبر خطر يهدد اللغة

(٦) ( التشبيه ) ذكر المؤلف فى هذا الكتاب ارتباط التشبيه بعقليات الامم والجماعات . ودلالته على تلك العقلية واختلاف امزجة الناس فى الصور التى يعرضونها على السامع توضيحاً لا غرضهم

(٧) ( حسن التعليل ) بين المؤلف فى هذا الكتاب قيمة البراهين الشعرية فى الاقناع . وذكر انه لا بد للناس من خيال الشعر يخففون به أعباءهم الحوية . ومقارنة بين الخيالىن السامى والآرى . وبين الشعارين المعرى وداتى اليجبرى فى كوميديتهما الالهية المتحدة الفكرة المختلفة باختلاف الخيالىن ...

(٨) ( كرامات الاولياء ) استدلل المؤلف فى هذا الكتاب على وجود الكرامة . وعلى وجوب الاعتقاد بها وأن من ينكرها يكاد يبرأ من الاسلام لخروجه على صرائح النصوص . وقد أهداه الى روح والده المرحوم ( الشيخ أحمد عمر النشوى )

## التقاريط

كلمة للمربي الحكيم . والعالم الجليل . محمود أفندي مصطفى المدرس  
بكلمة اللغة العربية . نقتطف من روضتها تلك الزهرات . قال حفظه الله  
يجمل بي أن أقدم إلى القراء الكرام مؤلف هذا الكتاب (نشأة اللغات)  
وهو الاستاذ الفاضل الشيخ محمود أحمد عمر النشوى . وإنما لجأت الى  
تقديمه لأنى أعلم أن مثله فى انزوائه واحتفاله بالحقيقة . وعكوفه على  
الجوهر واطراحه العرض . وصمة الطويل . وتجافيه عن الجلبة وكل  
ما يتعلق بها . أعلم أن مثله فى هاتيك الصفات يسىء إلى الناس فيعمى  
عليهم فضله . ويوارى مزاياه . عرفت الاستاذ النشوى فى العام الماضى  
فى درس الانشاء العربى بقسم التخصص الذى يباهى بأمثاله . ولقد  
نجحت فى أصابة الحقيقة وصدق الدلالة حينما لقبت الاستاذ النشوى  
بـ «الوثاب» فقد عرفت فيه الهمة فى التحصيل . والتفرد فى  
الرأى . وجولان الفكر الموفق .

والذى أراه فى كتابة الاستاذ النشوى فى هذا الموضوع أنها تمتاز  
بميزتين ظاهرتين . احدهما استفادة البحث واتساعه . وهو فى كثير  
مما كتب الكاتبون ضيق حرج . وثانيتهما حلاوته وارتياح النفس اليه  
واشباع نهمتها بالأمثلة الكثيرة والموازنات الصادقة . واكثر ما قرأنا  
عنه مقتضب يعمه الغموض . وينقصه الربط . وحسن القياس . فأنا بدي  
اعجابى بالكتاب . وأقدم التهئة الخالصة لمؤلفه على ما استطاع من انتصار  
وفوز على الشبهات التى تورط فيها . كثيرون . وكشف هو عنها الحجاب

فسخرت مشرقة واضحة المحيا . وأدعوا الله مبتهلا ان يهيء للعلم نشاطا  
من الامتاز النشوى حتى تسعد به الحقائق . وتحرر من أسر الغموض .  
وحتى تعدر القلوب بنور اليقين . وترتاح إلى دقائق الفنون ارتياحها  
إلى بساطها

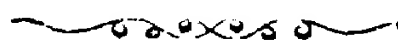
( كلمة الامتاز السباعى السباعى يومى المدرس بدار العلوم وكية  
الآداب )

( نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجمع اللغوى ) هذا عنوان رسالة  
دبجها فى هذا الموضوع الامتاز محمود أحمد عمر النشوى أحد الذين  
يتفقهون فى الآداب بقسم التخصص من كلية اللغة العربية بالجامعة  
الأزهرية . وهى رسالة يراها القارىء نتيجة بحث واستنباط وحسبها  
أنها جاءت وفق ما عليه مؤلفها من ميل فطرى إلى التفكير . ورغبة  
فى التحقيق والتحصيل

وليس بعد هذا لمن يريد التعريف بها زيادة لمستزيد

( كلمة سيد الصوفية وإمام البلغاء السيد محمد الغنيمى التفتازانى )  
أخذ أهل البصر بالعربية فى أنحاء الأرض يحسون من أعماق  
قلوبهم حاجتها إلى مضاعفة العناية برازا لمحاسنها . واجلاء لروعها  
وتصويرا لبهاها . والبقاء على مقامها بين اللغات الحية فى العالم . وانك  
لتسمع أنباء هذا الاحساس تتجاذب أصداؤه فى جميع صحف العالم العربى

وعلى الخصوص بعد (فتنة ترجمة القرآن) وقديما كان الأزهري حصن اللغة العربية الحصين . وكم تخرج بين جدرانها حملة ألوية العربية على اختلاف أوطانهم ومنازعهم ممن نقلوا ثقافته الخالدة إلى سائر بقاع الأرض . ومن أجدر من أهل الأزهري برعاية لغة القرآن . لذلك لم يكن عجباً أن يطالع علينا الأستاذ الأديب الكريم الشيخ محمود أحمد عمر النشوي أحد علماء الأزهري بكتابه المتمتع (نشأة اللغات وحاجة الأمة للمجمع اللغوي) فالأستاذ سليل بيت قديم يؤلف رجاله سلسلة متصلة الحلقات في خدمة اللغة والدين . وقد اغترفنا كما اغترف مشايخنا من بحر علوم والده العارف بالله الشيخ أحمد عمر النشوي أنزله الله منازل رضوانه . وسيجد القارئ بين سطور هذا الكتاب من البحوث الجديدة الطريفة ما ينطقهم بالشأن على مؤلفه الفاضل الذي بذل في تأليفه من الجهد ما يحمده له عند الله والناس . وإن في استقرائه الشفاف . واستنباطه المتزن . وصبره على مواصلة الدرس والبحث ما يجعلنا نرتقب له مستقبلا مملوءا بتواصل الانتاج السليم



(كلمة الأستاذ محمود أفندي راضي عثمان مدرس الانشاء بقسم التخصص (شعبة البلاغة والأدب)

الحمد لله بيده الفضل يؤتيه من يشاء . وسلام على عباده المصطفين ،

الأخيار

وبعد فلست أغلو في حمد . أو أسرف في ثناء إذ أبر بالحقيقة .

وأظهر المتأدين على ما رأيت من بحث مبين . وجد مشكور . نعم ، فقد  
أطمانى مؤلفه الأملى وهو الى تمام الطبع أقرب . فأخذت أتصفحه .  
ومضيت فى قراءته . فإذا هو كتاب مبارك يلقى على اللغة العربية  
وطالبها ضياء وذكرى . وإذا هو جهد قوى يظهر من الحقائق ما يبهج  
له عقل الباحث الأديب . فلينعمن الذين يقرءون اللغة العربية بهذا  
الكتاب . وليهن المؤلف ما ظفر به من إحسان وتوفيق . أجل الله رعايته  
وجعله مثلاً صالحاً للمتأدين والسلام



( كلمة أستاذى الكبير . وسيدى الجليل الشيخ سليمان نوار  
المدرس بالكلية )  
لأخى الاستاذ محمود أحمد عمر النشوى رسالة صغيرة فى ( نشأة  
اللغات ) قرأتها فأعجبتنى مباحثها . وظنى أنها ستلقى إعجاباً من محبي  
الأنبحاث الجديدة



✽ - تقرىظ الشعر ✽ -

من قصيدة للزميل المحترم الشيخ عبد الحليم النجار أحد علماء  
التخصص

قد شهدناك باحثاً عبقرى	وعرفنا فيك الصديق الصفى
فرأينا فى حالتك مثالا	مفردا فى نبوغه أوحديا
ولك المهمة البعيد مداها	لا ترى فى الوجود أمرا عصيا

تبلغ المطلب القصي من الامر وان كان عالقا بالثرى  
جئت في (نشأة اللغات) بما لم يبق فيها جهد غيرك بقيا



قصيدة للأخ الاستاذ محمود الشرييني . نقتطف منها هذين البيتين  
فليهنأ الفصحى كتاب ساقه رب الله كاه العبقري محمود  
(سفر) من النور المبين وانه في غرة العصر الأغر فريد



وخير ما أتوج به ذلك الكتاب آيات بينات جادت بها قريحة حسان  
فلسطين . وشاعر العرب نسطرها شاكرين . ونسجلها تخليداً لأيديه  
البيضاء . قال حفظه الله

ايه ، محمود من ييانك لنا س . ومما أوتيت من آيات  
معجز كل ما نسطار للندى وكل الآيات في المعجزات  
زادك الله بالبيان جهوداً في نشاط وقوة وثبات  
ماشدت (نشأة اللغات) بذكرها

ك وهز القلوب شدو اللغات  
أبو الاقبال اليعقوبى  
مفتى يافا سابقا

# الفهرس

- ٤ . الأهداء
- ٦ . الافتتاحية
- ٧ . البواعث على اختيار هذا الموضوع وحاجة الامة للمجمع اللغوى
- ١٤ . اللغة والاجتماع
- ١٥ . اللغة والتفكير
- ١٧ . اللغات وضعيه أم اصطلاحية ؟
- ٢٥ . كيف نشأت اللغات ؟
- ٢٦ . لغة الحيوان
- ٢٨ . لغة الطفل وما يخرعه من أساليب . ولفظ الأمومة فى كل لغة
- ٣٠ . لغات القبائل المتأخرة فى أواسط افريقيا وأستراليا وأمريكا وأمثلة كثيرة من عباراتها بلغاتها
- ٣٥ . بدء التفاهم بالأشارة . وأسباب حلول الألفاظ محلها
- ٣٩ . بدء التفاهم اللفظى وامثلة من قديم اللغات وحديثها
- ٤٤ . تركيب الكلمة من مقطع واحد فى الأغلبية الساحقة من الكلمات . والسر فى زيادة الكلمة عنه . وأثر النحت فى ذلك . وامثلة من لغات متعددة
- ٥٦ . خلاصة ماسبق

٥٧ فيكتور كوزان يعترض وجوابه اعتراضه

٥٨ المجاز وأثره في إبعاد المناسبة بين اللفظ والمعنى . وبيان قانون تعرف به الكلمة الأصلية من غيرها . وأمثلة من لغات شتى

٦٩ الأبدال وأثره في إبعاد اللفظ عن مناسبتة لمعناه والجرب بين الحروف .  
وأثر المرأة في الأبدال وفي اللغة

٧٧ الكلمة الأخيرة

٨١ التقاريف

---

### فلمات الطباعة

كم من المصاعب يلاقها الطابع إذ يجمع الحروف من صندوق تزيد عيونه عن عشرين وأربعمائة . فلانغفر له زلاته . ولا تتجنى على المؤلف بما جناه الطابع . وإنا لذاكرون هنا ماتتوقف صحة المعنى عليه

صحيفة	مطار	خطأ	صواب
٦	٢	الاهام	الالهام
٧	١٤	المكتشفين	المستكشفين
١٨	١٠	التكنولوجيا	التكنولوجيا
٢٣	١٧	ايهام	اهام
٣٣	٥	خمس	خمس



صحيحة	سطار	خطأ	صواب
٣٥	٦	فأصوات	فأصواتا
٣٦	١٧	خطيت	خطبة
٤٩	٨	نبع	نبغ
٤٩	١٠	بنفسه	بنسبه
٥٠	٧	صوت حيوان	صوت . وأنه صوت حيوان
٥٠	٨	ثالث	رابع
٦٣	١	الكالدانية	الكالدانية
٦٤	٥	انه	أنها
٦٤	١١	تسعه	ثمانية
٦٥	١٢	الصدفه	المصادفة
٦٥	٧	لروثقه	لروثقها
٦٥	٧	دوران	دورانها
٦٥	٨	انحناءه	انحناءها





